

مُغالطات رئيس الوزراء العراقي  
الأسبق نوري المالكي  
بحق الصحابة في موازين العلم  
وقواعد الإنصاف والعقل

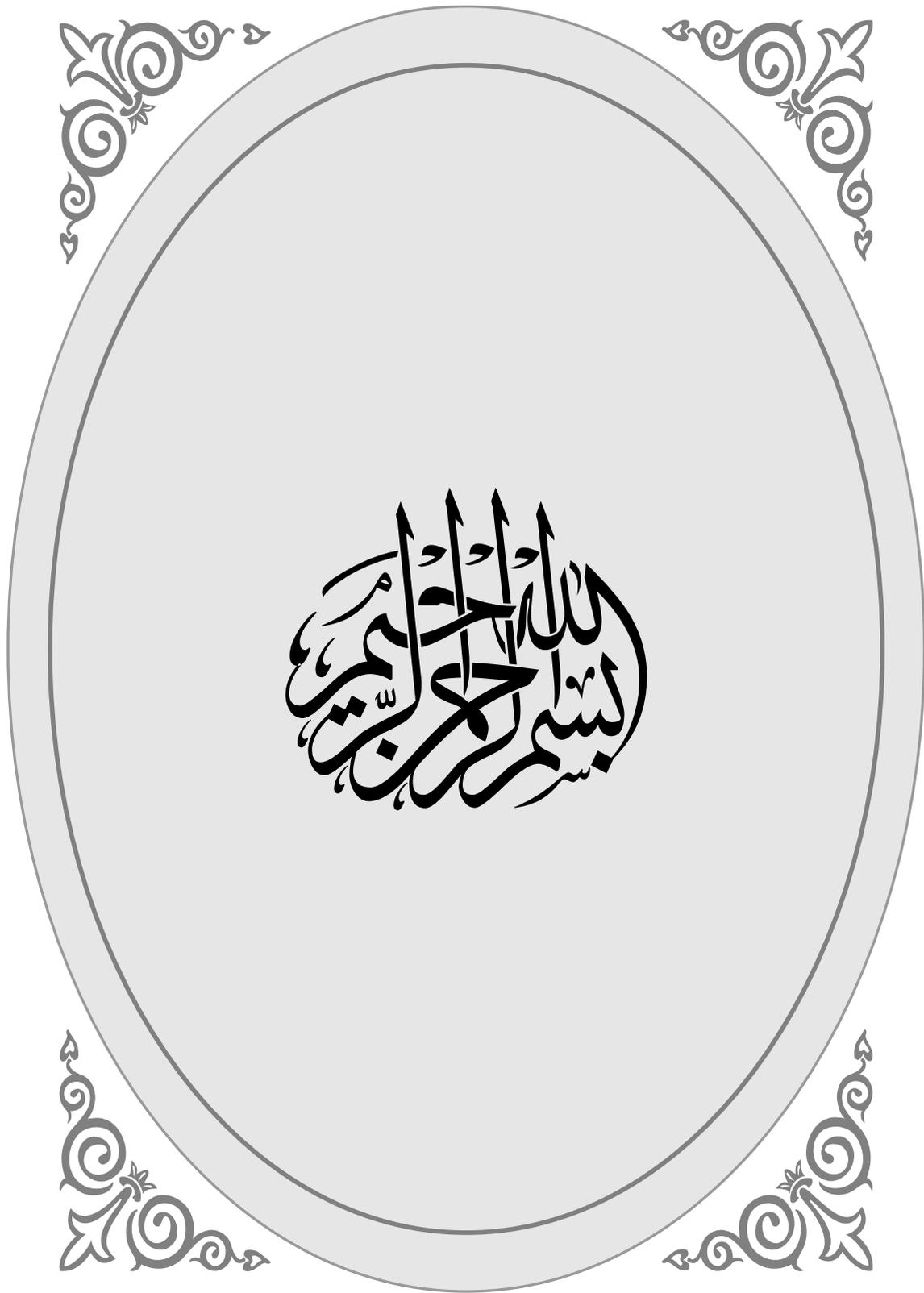
د. علي محمد محمد الصّلابي

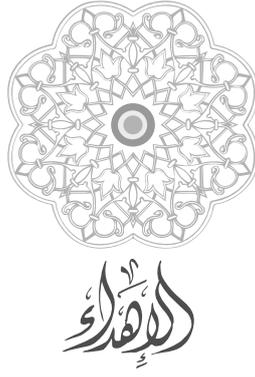


مُغالطات رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي  
بحق الصحابة في موازين العلم وقواعد الإنصاف والعقل

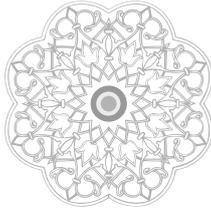
د. علي محمد محمد الصَّلابي

1445هـ / 2023م





إلى كل المؤمنين بالله وحده لا شريك له، وإلى أصحاب الفِطْرة السليمة  
والعقول النيرة، ممن يسعون لمعرفة وقائع التاريخ الإسلامي، وفهم أحداثه.  
وإلى الذين يبتغون الإصلاح، وتخفيف الاحتقان بين المسلمين، وتوحيد كلمتهم  
في ظل الظروف العصيبة التي تعيشها أمتنا اليوم  
أُهدي هذه السلسلة التاريخية، سائلاً الله عزّ وجل أن يجعلها نبراساً يهتدي به  
التائهون، ومصدراً للباحثين عن الحقائق التاريخية، وعِلماً نافعاً لأبناء الإنسانية  
جميعاً.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ، وَلَكَ الْحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا.

أما بعد:

دعتُ ضرورةَ الحدثِ المستجدِ، وأثرَ الاتهاماتِ التي صدرت، متمثلةً في التطاولِ على تلاميذِ وصحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ، والنيلِ من بعضِ أولئكِ الصحبِ الكرامِ (رضوانِ اللهُ عليهم جميعاً)، نشرِ هذهِ السلسلةِ التاريخيةِ من المقالاتِ، وذلكِ لكشفِ مغالطاتٍ وشبهاتٍ وادعاءاتٍ أحاطتِ بسيرتهمِ العطرةِ في مرحلةٍ محنةٍ مرّت بها الأمةُ الإسلاميةُ في تاريخها، وهي معركةُ صفين، وحادثةُ رفعِ المصاحفِ والتحكيمِ بينِ الصحابةِ (رضوانِ اللهُ عليهم)، وما قيل من أقاويلِ مغلوطةٍ حولِ الخطبةِ النبويةِ في غدِيرِ خم.

ولقد صدرت الاتهامات والمغالطات خلال الحملة الظالمة التي شنَّها رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي - هداانا الله وإياه إلى الصواب - على الصحابة (رضوان الله عليهم)، واتهاماته لمعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ولخلفاء وولاة الدولة الأموية، بسبِّ وشتَم الخليفة الراشدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وآل البيت (رضوان الله عليهم جميعاً) على منابر المسلمين في زمن الحكم الأموي!

وقد اعتمد رئيس حكومة العراق الأسبق نوري المالكي في اتهاماته وتصريحاته تلك على ما تداولته الروايات الموضوعية، والقصاص الملققة، وخزعבלات القُصَّاص، وتخيَّلات الروايات الشعبيَّة، والممزوج برائحة الشعبيَّة والتحيز المذهبي، والطعن في صحابة وتلاميذ رسول الله ﷺ، فهو استند على أسس واهية، ومصادر خائسة وزائفة، ونشرَ ذلك في وسائل الإعلام في ذكرى خطبة النبي ﷺ في منطقة غدِير خم بين مكة والمدينة ﷺ، والتي سنأتي على تفصيلها وذكرها ضمن السلسلة هذه إن شاء الله، وسنذكر ما قاله في كلمته والحقيقة التاريخية لتلك الأحداث، ففي الكلمة طعن رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي ببني أمية، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري (رضي الله عنهم)، وألقى باللائمة على الصحابة الذين وقفوا معهم، وزوّر كثير من الحقائق والأحداث التاريخية، وهذا ما أوجب علينا التنبيه والنصح والإرشاد، والتذكير بخطورة ما أقدم عليه من نشر فيروسات تلوث التاريخ، وتهدد وحدة المسلمين، وتسيء لصحابة النبي الكريم ﷺ.

إن شناعة ما أقدم عليه رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي وعظم فريته؛ تدفع كل مسلم غيور على دين الله، و صحابة رسوله الكرام بالدفاع عنهم والذب عن حملة الدين ومُبلغي رسالته للعالمين؛ ولذلك قررت بعد الاستعانة بالله والتوكّل عليه، مدافعة تلك الأكاذيب والافتراءات، وتبيان الحقائق التاريخية وفق مصادر

العلم والتاريخ الصحيح والموضوعي، ولأجل هذا الهدف سأُتبع هذه الحلقة المعنونة بـ "مغالطات نوري المالكي في اتهام معاوية بن أبي سفيان والأمويين بسبّ وشتم آل البيت على المنابر في عهدهم"، بحلقات أخرى أُجَلِّي بها ما حاول نوري المالكي، وغيره القيام به من تزوير وافتراء، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وستُنشر هذه الحلقات بعد الحلقة الأولى تبعاً على النحو الآتي إن شاء الله:

- مغالطات المالكي حول حادثة الدعوة إلى التحكيم في معركة صفين
  - نص التحكيم في معركة صفين
  - قصة التحكيم المشهورة، وبطلانها من وجوه
  - حقيقة الخطبة النبوية في غدِير خم
  - أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) في ميزان العلم والإنصاف.
  - عمرو بن العاص (رضي الله عنه) في ميزان العدل والإنصاف.
  - خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب وحرصه على حقن دماء المسلمين ووحدة الأمة
  - كتب تاريخية ساهمت بتشويه تاريخ الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم)
  - محاولات تشويه التاريخ الإسلامي والتصدي لها.
- ومستزهداً في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يهدينا جميعاً إلى صراطٍ مستقيم، وأن يُعيننا على طاعته، والإنصاف بحق عباده المؤمنين، وجمع كلمة الأمة، وتبليغ رسالته للعالمين إن ربي سميع مجيب للدعاء.

والحمد لله رب العالمين

## المقال الأول:

مُغالطات نوري المالكي في اتهام معاوية بن أبي سفيان  
والأمويين بسبّ وشتم آل البيت على المنابر في عهدهم

إن من لديه أدنى معرفة بأحداث التاريخ الإسلامي، وبحال صحابة رسول الله ﷺ يعلم أن ما صرَّح به رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي بأنه ظلم لصحابة رسول الله ﷺ، وأوهام غير مبنية على الحقائق العلمية الدقيقة، وإنما هو البغض والكره لأولئك القوم الكرام. وبعض من في قلوبهم مرض يروِّجون ذلك على معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) وبعض ولاية بني أمية، مثل القول زوراً بأن الأمويين منذ عهد معاوية بن أبي سفيان أمروا بسبّ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على المنابر في خطب الجمعة، وأن ذلك استمر ما يقارب سبعين سنة بعده، حتى جاء عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) فمنعهم. وهذا افتراء واضح، وكذب صريح، كما سنبين فيما يأتي. وقد قال نوري المالكي:

"في عهد بني أمية الإمام علي يُشتم على منابر المسلمين 70 سنة، وهم يعلمون حتى جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأوقف شتم الإمام علي".

وقال: "وكانوا إذا انتهت صلاة الجماعة يصفح بعضهم بعضاً بلعن علي، إلى أن أمر عمر بن عبد العزيز بمنع ذلك، وقال: تصافحوا وقولوا تقبل الله منكم حتى يقضي على ظاهرة شتم الإمام علي".

وأسفنا أكثر أن مثل هذه القصص المكذوبة لا تعود على الأمة إلا بالضرر على أبنائها، ولا تورث علماً نافعاً، ولا عملاً صالحاً؛ وإنما تزيد الفرقة، وتوجِّج الخلاف بين المسلمين، وتشعل الصراع بين الشعوب والحضارات.

إن هذه الشبهة الموهومة أكثر ما توجه على معاوية بن أبي سفيان من بني أمية، ويتهمونونه أنه هو أول من أمر بشتم علي (رضي الله عنه) في كل جمعة؛ لذلك سأخص الكلام في هذه الحلقة من السلسلة عن معاوية بن أبي سفيان، وأبين بعض صفاته وفضائله، ودوره وجهاده وفتوحاته، ثم أرد على شبهة شرعنة سبّ علي بن

أبي طالب وآل البيت رضوان الله عليهم في ميزان العلم والإنصاف وحقائق التاريخ الإسلامي. فمن هو معاوية بن أبي سفيان!؟

## نسب معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ومولده:

هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين، أبو عبد الرحمن، القرشي الأمويّ المكي، ولد قبل البعثة بخمس سنين.

## إسلام معاوية بن أبي سفيان وفضائله:

أسلم معاوية مع أبيه وأخيه يزيد رضي الله عنهم يوم الفتح (العسقلاني، الإصابة، 433/3) هذا على المشهور، ولكن يروى عنه أنه قال: أسلمت يوم القضية — أي: عمرة القضاء سنة 7 هـ — ولكن كتمت إسلامي من أبي، ثم علم بذلك. وشهد معاوية — رضي الله عنه — مع رسول الله ﷺ حنيناً، وأعطاه مئة من الإبل وأربعين أوقية من الذهب.

وقد ذكر العلماء لمعاوية رضي الله عنه فضائل كثيرة؛ من هذه الفضائل:

أ - دعاء الرسول ﷺ لمعاوية رضي الله عنه: ومن ذلك قوله ﷺ: «اللهم اجعله هادياً، مهدياً، واهد به» وقال ﷺ: «اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»

ب- ما أخرجه البخاري من طريق أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»، قالت: يا رسول الله! أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم». ثم قال النبي ﷺ: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم» فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا»

(العسقلاني، فتح الباري، 22/6)

قال المهلب معلقاً على هذا الحديث: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر (ابن كثير، البداية والنهاية، 396/11)

وكان معاوية رضي الله عنه يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكذلك رسائل النبي ﷺ إلى زعماء القبائل، وكتابة معاوية للوحي لرسول الله ﷺ أتاحت له لونا من القرب الطبيعي من رسول الله ﷺ في تلك الفترة التي أعقبت فتح مكة حتى وفاة رسول الله ﷺ، مما يستتبع بالضرورة التأثير بشخص الرسول الكريم ﷺ، والأخذ المباشر منه (الدولة الأموية المفترى عليها، ص 145).

## أهم صفات معاوية (رضي الله عنه):

اشتهر معاوية رضي الله عنه بصفات كثيرة؛ من أهمها:

1 . العلم والفقهاء:

ومن المسائل الفقهية التي أثرت عن معاوية (رضي الله عنه):

أ . أثر عنه (رضي الله عنه) أنه أوتر بركعة. (فتح الباري 130/7).

ب . أثر عنه (رضي الله عنه) الاستسقاء بمن ظهر صلاحه.

ج . أنه يجزأى إخراج نصف صاع من البر في زكاة الفطر (زاد المعاد 19/2).

2 . الحلم والعفو:

اشتهر أمير المؤمنين معاوية بصفة الحلم، وكان يضرب به المثل في حلمه (رضي

الله عنه)، وكظم غيظه، وعفوه عن الناس. ومن صفاته أيضاً:

3 . الدهاء والذكاء الحاد.

4 . عقليته الفذة وقدرته على الاستيعاب.

5 . التواضع والورع والخشوع.

6. إحسانه إلى كبار الصحابة في عهده مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير (رضوان الله عليهم).

## جهاد معاوية (رضي الله عنه):

### 1. جهاده ضد البيزنطيين:

كان معاوية رضي الله عنه يرى أن الخطر الأكبر من وجهة نظره: الدولة البيزنطية، وإن كانت قد خسرت أهم أقاليمها في الشرق — الشام ومصر وقد حاصر القسطنطينية سبع سنوات، حتى أرهقت البيزنطيين، وأذاقتهم ألوان الضنك والخوف، وأنزلت بهم خسائر فادحة، وبالرغم من كل ذلك لم تستطع اقتحام المدينة أو التغلب على حراسها المدافعين عن أسوارها (العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص 351، 252).

### ٢. جبهة شمال إفريقيا والبحر المتوسط

كانت هذه الجبهة أولى الجبهات التي أولاهها اهتمامه، وذلك لأنها قريبة من حدود مصر الغربية ولوجود جزر بحرية في البحر المتوسط قريبة على ديار المسلمين وتابعة لبيزنطة، ففي أول حكمه أرسل حملتين إلى إفريقيا الأولى عام ٤١هـ، والثانية عام ٤٥هـ، وذلك بقيادة معاوية بن خديج ورافقه عدد من الصحابة وأشرف قريش، واشتهر في عهد معاوية بن أبي سفيان القائدان الكبيران عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار الذين وطّدا لدولة الإسلام الفتوحات في تونس ومناطق شمال إفريقيا، فضلاً عن مهاجمة الجزر البحرية التابعة لبيزنطة، وفتح جربة التي كان يسكنها البربر، ووصلت قوات عقبة بن نافع إلى ساحل المحيط الأطلسي (سير أعلام النبلاء، ٣/ ٥٣٢) (الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٥٩٠/٢) و(معاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلابي، ابن كثير، ٢٠٠٩، ص ٣٩٧ - ٤١٧).

### ٣. الجناح الشرقي للدولة الأموية:

كان المسلمون حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد أتموا فتح البلاد التي تقع بين العراق ونهر جيحون، وتضم جرجان وطبرستان وخراسان وفارس وكرمان وسجستان، فلما قتل عثمان تعثرت حركة الفتح، وخرج أكثر أهل هذه البلاد عن الطاعة، حتى جاء عهد معاوية رضي الله عنه أخذت دولته تبذل جهوداً بالغة لإعادة البلاد المفتوحة إلى الطاعة ومد حركة الفتح (دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 219)، فشملت خراسان وبلاد ما وراء النهر وبلاد السند.

### من سنن الله في فتوحات معاوية:

يلاحظ الدارس للفتوحات الإسلامية في عهد معاوية بعض سنن الله في المجتمعات والشعوب والدول؛ ومن هذه السنن:

#### 1. سنة الله في الاتحاد والاجتماع:

كانت الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه أكبر معوق أصاب حركة الفتوحات بعد الردة أيام أبي بكر رضي الله عنه، واتجهت الأمة الإسلامية إلى الوقوع في فتنة لا نهاية لها لولا أن تداركتها رحمة الله سبحانه وتعالى بصلح الحسن بن علي مع معاوية (رضي الله عنهما).

#### 2. سنة الأخذ بالأسباب:

ويظهر أخذ معاوية رضي الله عنه بسنة الأخذ بالأسباب، في اهتمامه ببناء الأسطول البحري وتطويره، وتقوية الجيش، والقضاء على الفتن الداخلية، وفتنة الخوارج، ودعم الثغور، وأماكن الرباط، والتخطيط الاستراتيجي للدولة في سياستها الداخلية والخارجية، وذلك بعد صلحه مع الحسن بن علي (رضي الله عنه).

#### 3. سنة الله في الظالمين:

مارست الدولة الفارسية الظلم على رعاياها وتمردت على منهج الله، فمضت فيها سنة الله، وسلط الله عليها المسلمين منذ عهد الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، فأزالوها من الوجود، (السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ص 119 - 121)، وكذلك نفوذ الدولة البيزنطية من الشام ومصر، وتزعزع وجودها في الشمال الإفريقي، وما جاء عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان (رحمه الله) حتى زال نفوذها من الشمال الإفريقي كلياً.

وهذا ملخص سريع وموجز جداً لسيرة هذا الصحابي المفترى عليه إذ إن الذي يهمننا الساعة هو الدخول في صلب الموضوع، وهو الرد على الشبهات والمغالطات التي تقوّها رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي، وقالها غيره من المتهجمين على الصحابة (رضوان الله عليهم) دون علم ولا دراية.

حقيقة ما ورد من أمر معاوية خطباء الجمعة بسبب علي رضي الله عنه على المنابر بعد خطب الجمعة:

يثير المبغضون للصحابة وخصوصاً لمعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) الشبهات ومن أبرزها أنّ معاوية بن أبي سفيان حمل ولاته والناس في زمانه على سبّ علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، ولعنه فوق منابر المساجد في الدولة الأموية حاشاه، واختلفوا في ذلك روايات باطلة، أخذها بعض المؤرخين وحشوا بها كتبهم، من غير الكلام على إسنادها أو صحتها وضعفها بالتمحيص الدقيق، وبعد دراسة متأنية وواعية ومقارنة وواسعة، وجدنا أنها روايات باطلة مختلقة، في أكثرها رجال من أهل الرفض الذين يبغضون الصحابة، فهذه الدعوة لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوا فيها من آثار واهية وموضوعة.

كما أن الحقيقة التاريخية الدامغة تُكذّب كل الروايات الموضوعة والمصنوعة التي تدعي بأن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) أمر بسبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على منابر الدولة الأموية كل يوم جمعة في:

- مساجد بلاد الحرمين

- مساجد العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر

- مساجد الشام

- مساجد مصر

- مساجد شمال إفريقيا.

وملخصه: إن ما يدسُّه كُتاب التاريخ من أصحاب الأهواء الشيعة أو الاستشراقية المزيفة للحقائق في اتهام معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) بأنه أمرَ بذلك، وأنه ظاهرة عامة، وتوجه للدولة في كل مساجدها.

- لا يصح من ناحية السند.

- لا يصح من ناحية التمحيص التاريخي.

- لا يصح بميزان العلم والإنصاف والعقل والمنطق.

- ولا يصح من حيث دراسة الحال الذي كان عليه معاوية بن أبي سفيان في عهده رضي الله عنه من إكرامه لآل البيت رضي الله عنهم بشكل عام، وللحسن والحسين (رضي الله عنهما) بشكل خاص.

وإن تثبت هذا الادعاء والبهتان، هو اتهام للحسن والحسين والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين - والذين كانوا أحياء في ذلك العصر - في السكوت عن ذلك المنكر العظيم الذي يتعارض مع قواعد السلم وعوامل نجاح الصلح وشروطه

الذي قاده خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي (رضي الله عنه)، والذي قال فيه النبي ﷺ: "إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين". فلا يصح هذا الاتهام الباطل وفق القواعد العلمية لعلماء أهل الجرح والتعديل، وهل يُقبل بالعقل والمنطق رجل في مقام معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) استأمنه رسول الله ﷺ لوحي السماء واستأمنه سبب رسول الله ﷺ الحسن بن علي (رضي الله عنه) على قيادة الأمور وحكمها يأمر على منابر دولته في سبّ الخليفة الراشد الرابع المبشر بالجنة، وهو صاحب الأفضال العظيمة والمواقف الكريمة والتضحيات الجسام في خدمة دين الله عز وجل. كيف يُعقل أن يقوم به معاوية؟! إن هذا لشيء عجاب ليس له في عالم المنطق من سبيل وفي عقول الراشدين من قناعة إلا في بحار الأهواء وصحاري الأكاذيب.

إن معاوية رضي الله عنه من قادة الأمة الإسلامية ومن خلفائها، ومن كُتاب وحي رسول الله ﷺ، ومن زكاهم القرآن الكريم بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)﴾ [الفتح: 29].

وقد ورد في فضائله أحاديث عدّة، ومن كان هذا حاله، فلا يمكن أن يسفّل إلى ما وصفته به بعض الروايات التاريخية الموضوعية، أو بما يصفه به بعض الناس لغاياتهم السياسية، وأغراضهم الأيدولوجية.

المقال الثاني:

مغالطات المالكي حول حادثة الدعوة إلى التحكيم في معركة  
صفين

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 9 - 10].

هذا هو المنهج القرآني في معالجة الخلاف والقتال والتنازع بين فئتين مسلمتين، وهو خطاب ربّاني للمسلمين في كلّ زمان ومكان، فالإخوة بين المؤمنين في الإيمان والتقوى وطاعة الله والخوف منه، والتزام العدل والحق، والإسلام سوى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى؛ وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي. (التفسير المنير، وهبة الزحيلي، 239/26).

وقد جعلت الآية الكريمة: الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله، تعظيماً لأمر الإصلاح بين المسلمين. (منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، الحريري، ص 16)

وللتذكير بما قاله رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي عن حقيقة معركة صفين وقضية التحكيم بين الجيشين، وقال:

"جيش الإمام علي كله قال للإمام: هذا دعاك للقرآن، قال لهم: أنا القرآن الناطق وهذا القرآن صامت، هذه خدعة، قالوا له: دعاك إلى القرآن، وسلّوا سيوفهم على رأس الإمام علي".

وفي قوله: "20 ألف مقاتل شهّر سيفه لقتال الإمام علي إن لم ينزل على حكم القرآن على هذه الخديعة، بعث إلى مالك الأشتر: ارجع، قال لهم: ليمهلني قليلاً وصلت إلى فسطاط معاوية، ساعة واحدة وأحسم المعركة، عادوا وقالوا: مالك يرفض، قال لهم: قولوا له إمامك سيقتل، مالك ارتعب، ماذا! الإمام علي

يقتل! وعنده هذا الجيش الجرار، استدار بحصانه وعاد ليجد السيوف المسلولة على رأس الإمام، طلب من الإمام أن يعطيه الإذن ليجمع هؤلاء على هؤلاء، قال له: لقد نفذت المؤامرة، اخضع".

وهذا أوجب توضيح حقيقة الدعوة إلى التحكيم ومساراتها في تلك الفترة بعيداً عن القيل والقال، واستناداً للروايات التاريخية الكثيرة التي تناولت تلك المرحلة. فما حقيقة التحكيم والدعوة إليه؟

### 1- الدعوة إلى التحكيم:

إنّ ما وصل إليه حال الجيشين في معركة صفين لم يكن يحتمل مزيداً من القتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة ليلة الهزيم فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غداً إنه لفناء العرب، وضبيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النساء والذراري غداً إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل. (وقعة صفين، ملتغري، ص 479)

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة، لعن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذراريننا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهي، ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمر بن العاص (رضي الله عنه) ولا للمخادعة والاحتيال، وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمرو بشيء أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قوى الأمة المتصارعة.

إنما يزعم ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركماً من الروايات

المضللة بشأنها، تحيل الحق باطلاً، وتجعل الفضل كالمناداة لتحكيم القرآن لصون  
الدماء المسلمة؛ جريمة ومؤامرة وحيلة، ونسبوا لأمر المؤمنين علي (رضي الله عنه)  
أقوالاً مكذوبة تعارض ما في الصحيح على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا  
يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدة. (الكامل في التاريخ،  
ابن الأثير، 386/2)

ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة، ووسّعو دائرة  
الدعاية المضادة على عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، حتى لم تعد تجد كتاباً من  
كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص (رضي الله عنه)، وأنه مخادع وماكر  
بسبب الروايات الموضوعية التي لَقَّها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبري، وابن  
الأثير وغيرهم، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل: حسن إبراهيم حسن في  
تاريخ الإسلام، ومحمد الخضري بك في تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجار  
في تاريخ الخلفاء الراشدين، وغيرهم كثير، مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية  
الناصعة. (تاريخ الطبري، 662/5).

إنَّ رواية أبي مخنف تفترض أنَّ علياً (رضي الله عنه) رفض تحكيم القرآن لما اقترحه  
أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما  
بعد، وهذه الرواية تحمل سباً من علي لمعاوية (رضي الله عنهما) وصحبه؛ يتنزّه عنه  
أهل ذاك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي؟! (رضي  
الله عنه) ويكفي للرواية سقوطاً أن فيها أبا مخنف الرافضي المحترق، فهي رواية لا  
تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتّهم أصحابها بهوى، مثل ما  
يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد  
رجال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). فقال: كنا بصفين، فلما استحرّ القتل  
بأهل الشام قال عمرو لمعاوية (رضي الله عنهما): أرسل إلى علي المصحف؛ فادعه

إلى كتاب الله، فإنه لا يأبي عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: 23]. فقال علي (رضي الله عنه): نعم، أنا أولى بذلك، فقام القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج، بأسيا فهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر رضي الله عنه للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ، فقال علي: أيها الناس! إن هذا فتح، فقبل القضية ورجع، ورجع الناس. (مسند أحمد مع الفتح الرباني، 483/8)

وفي هذه الروايات الصحيحة رد على دعاة الفتنة، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمّس لتلك الحرب ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم على استمرار الفتنة. (الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ص 530)

إنّ الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي (رضي الله عنه) والبيعة له، تطوّر فرضته أحداث حرب صفين، إذ إنّ الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهاتاً جماعياً رأى أنّ وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة، وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيتها وأثرها في اتخاذ القرارات. (دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ضيف الله، ص 38)

إنَّ أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) قَبِلَ وَقَفَّ القتال في صفين، ورضي التحكيم، وعدَّ ذلك فتحاً، ورجع إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد. إنَّ وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم، ساهمت بها وللاستجابة لها عدة عوامل؛ منها:

أ - أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام وحقن الدماء؛ سواء تلك المحاولات الجماعية، أم المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التي تبادلها الطرفان تفيد وجهات نظر كل منهما، فلم تُجد هي الأخرى شيئاً، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال؛ حيث كتب إلى علي (رضي الله عنه) يطالبه بتوقف القتال، فقال: فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أنَّ الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإننا إن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي منا ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقي. (دراسات في عهد النبوة، عبد الواحد، ص 432)

ب - تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلباً يرنو إليه الجميع.

ج - الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علي (رضي الله عنه) في اتجاه المهادنة وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن المهادنة. وهذا ينقض ذلك الرأي المتهاافت الذي رُوِّج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص (رضي الله عنه). والحق أنَّ فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص (رضي الله عنه) بل رُفِع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقتل.

د - الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]؛ ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله قال: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله. (مصنف ابن أبي شيبة 336/8).

## 2- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

إنّ وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين، فقد كانت هذه الواقعة من الغرابة إلى حدّ أن القارئ لا يصدق ما يقرأ، ويقف مشدوهاً أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهراً بسيفه وهو يؤمن بقضيته إيماناً كاملاً، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بواعثها وفي طريقة أدائها وفيما خلفتها من آثار، فبواعثها في نفوس المشاركين يعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معاً إلى مكان الماء، فيستقون جميعاً، ويزدحمون وهم يغرفون الماء، وما يؤذي إنسان إنساناً. (تاريخ الطبري، 610/5).

وهم إخوة يعيشون معاً عندما يتوقف القتال، فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في معسكر هؤلاء.. وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم، وهم أبناء قبيلة واحدة، ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف قتالاً مريراً، وكل منهما يرى نفسه على الحق، وعنده الاستعداد لأن يُقتل من أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتى يُثخنَا (وهناً وضعفاً)، ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، وهما أبناء دين واحد يجمعهما، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها، ويوم قتل عمار بن ياسر صلى عليه الطرفان.

(مرويات أبي مخنف، اليحيى، ص 296)

وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معاً، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) ولا إلى معاوية بن أبي سفيان، وقالوا  
لأمير المؤمنين:

إننا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه، فقال علي: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة؛ من لم يرضَ بهذا فهو جائر خائن. والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها في قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها. (دراسات في عهد النبوة، عبد الواحد، ص 424)

### 3 - معاملة الأسرى:

إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البديهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى؛ فقد حث رسول الله ﷺ على إكram الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين؛ فكيف إذا كان الأسير مسلماً، لا شك أن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في هذه المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقتة، ولذلك كان علي (رضي الله عنه) يأمر بحبسه، فإن بايع أخلى سبيله، وإن أبي أخذ سلاحه ودابته، أو يهبهما لمن أسره ويحلفه إلا يقاتل، وفي رواية: يعطيه أربعة دراهم. (كتاب قتال أهل البغي من الحاوي الكبير، ص 133)

وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البغاة، وقد أتى بأسير يوم صفين، فقال الأسير: لا تقتلني صبراً، فقال علي (رضي الله عنه): لا أقتلك صبراً إني أخاف الله رب العالمين، فخلى سبيله ثم قال: أفيك خير تباع. (الأم، الشافعي، 224/4)

ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي:

- إكرام الأسير والإحسان إليه.
- يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة، فإن بايع أخلى سبيله.
- إن أبي البيعة أخذ سلاحه، ويحلفه ألا يعود للقتال ويطلقه.
- إن أبي إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبراً. (خلافة علي بن أبي

طالب، عبد الحميد، ص 243)

- وقد أتى رضي الله عنه مرة بخمسة عشر أسيراً، ويبدو أنهم جرحى، فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه. (تاريخ دمشق، ابن عساكر، 1/331)
- ويقول محب الدين الخطيب معلقاً على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربان معاً على مبادئ الفضائل التي يتمنى حکماء الغرب لو يعمل بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين، وإن كثيراً من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدوّن لولا وقوع هذه الحرب، والله في كل أمر حكمة. (العواصم من القواصم، ابن العربي،

ص 168)

#### 4- عدد القتلى:

تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى؛ فذكر ابن أبي خيثمة أنّ القتلى في صفين بلغ عددهم سبعين ألفاً، من أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً، ومن أهل الشام خمسة وأربعين ألف مقاتل، وتذكر بعض كتب التاريخ أنّ عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفاً أو أكثر. (الصواعق المرسلّة، 1/377)

ولا شك أنّ هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل، إلا مساء الجمعة، فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة، ومهما كان القتال عنيفاً، فلن يفوق شدة القادسية التي

كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمئة، وبالتالي يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة. (الدولة الأموية، بك، ص 360)

## 5 - تفقد أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) القتلى وترحمه عليهم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد نهاية الجولات الحربيّة يقوم بتفقد القتلى، فيقول شاهد عيان: رأيت علياً (رضي الله عنه) على بغلة النبي ﷺ الشهباء، يطوف بين القتلى، وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشر، مر برجل مقتول — وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام — فقال الأشر — وفي رواية أخرى عدي بن حاتم -: يا أمير المؤمنين! أحابس معهم؟ عهدي والله به مؤمن، فقال علي: فهو اليوم مؤمن. ولعل هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفضعتني، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان، والنجوم معهما نصفين، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 12]، فانطلق فوالله لا تعمل لي عملاً أبداً. قال الراوي: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين.

وقد وقف علي على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعاً. (خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 250)

## 6 - موقف معاوية مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير: "... وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أذله، وقهر جندهم ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية لحرب علي (رضي الله عنه)، تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه:

والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة"، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين. (البداية والنهاية، ابن كثير، 8/122).

#### 7 - مرور أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) بالمقابر بعد رجوعه من صفين:

لما انصرف علي أمير المؤمنين رضي الله عنه من صفين مرّ بمقابر، فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحالّ المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً، أحياءً وأمواتاً، الحمد لله الذي خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعدّ للحساب، وقنع بالكفء.

#### 8 - إصرار قتلة عثمان (رضي الله عنه) على أن تستمر المعركة:

إنّ قتلة عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين، حتى يتفانى الناس، وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأى عن القصاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعلي رضي الله عنه يجيبهم إلى طلبهم فيأمر بوقف القتال وحقن الدماء، فسعوا إلى ثني أمير المؤمنين عن عزمه، لكن القتال توقف، فسقط في أيديهم، فلم يجدوا بداً من الخروج على علي (رضي الله عنه)، فاخترعوا مقولة: (الحكم لله)، وتحصّنا بعيداً عن الطرفين، والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في معركة الجمل، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علي (رضي الله عنه)، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهر عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين، لأن اصطلاح علي مع معاوية

هو أيضاً اصطلاح على دمائهم، فلا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل، ويتركوا ذلك في صفين. (أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص 147)

9- نهي أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) عن شتم معاوية ولعن أهل الشام:

روي أن علياً (رضي الله عنه) لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام، أرسل إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟! قال: بلى ورب الكعبة المسدنة، قالا: فلماذا تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لجج به.

وأما ما قيل من أن علياً (رضي الله عنه) كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا أكثر حرصاً من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهي عن سباب المسلم ولعنه؛ فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «من لعن مؤمناً فهو كقتله»، وقوله ﷺ: «ليس المؤمن بطعان ولا بلعان»، وقوله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة». (تحقيق مواقف الصحابة، 232/2).

كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه، ولعن معاوية لأمر المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين؛ لا تثبت من ناحية السند؛ حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فقد أنكر علي من يسب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقتلتم مكان سبكم

إياهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة. (نهج البلاغة، ص 323)

وأخيراً، وفي ختام هذا المقال يمكن القول: إن ما رأيناه في إعلان التحكيم بين الصحابة الكرام هو انصياع لأمر الله تعالى، واستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح، في قوله الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]، ومثلت تلك الأحداث روعة أخلاق أمير المؤمنين أبو الحسين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه وأرضاه)، والتي تُقرب بين المسلمين وتُجمع شملهم في كل الأزمان، في استجابته لنداء الحكمة وهو صاحب العقل والتدبير والفطنة، ومنعه شتم معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) وأهل الشام؛ إنما تحتم علينا التخلق بأخلاقه، والسير على نهجه في التعامل مع المسلم وغير المسلم، والإصلاح بين الناس بالحق ووفق كتاب الله وسنة نبيه المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وهذا ما دفعني لإعداد هذه السلسلة في كشف مغالطات وشبهات رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي في اتهامه الصحابة (رضوان الله عليهم) زوراً وافتراءً، وركوبه موجة التشويه، وإثارة النعرات بين المسلمين في وقت هم أحوج فيه لئلم شملهم وجمع كلمتهم، والتصدي لأعداء الله بالحجج والبراهين والمنطق، وحفظ الدين الحنيف، ونشر الدعوة، وتعزيز الأخلاق والقيم والفكر السليم بين أبناء الإنسانية قاطبة.

المقال الثالث:  
نص التحكيم في معركة صفين

كان حديثنا في المقالين السابقين من سلسلة "مغالطات رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي بحق الصحابة (رضوان الله عليهم)" عن قيم الإنصاف والعدل في التعامل بين صحابة النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه وتلامذته (عليهم رضوان الله)، وقيمة الإصلاح بين المسلمين كمنهج قرآني عظيم.

فالإصلاح بين الإخوة، وتقوى الله تعالى والأخذ بأسباب العدل والتمكين في جمع كلمتهم، هما سبب نزول الرحمة الإلهية على العباد والبلاد. وقد كانت معاملة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأخلاقه (رضي الله عنه) في التعامل مع معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) وأهل الشام والأسرى والقتلى هو خير دليل على أهمية الجانب التعبدي والأخلاقي والروحي، وقيم الحكمة والعفو والإحسان وإصلاح النفوس لدى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو ما يجتم على المسلمين الاقتداء به والتعلم منه على مرّ الأزمان.

وإن قول رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي: "التحكيم كان بالإكراه، وأجبر عليه الإمام علي بن أبي طالب من أتباعه الذين خذلوه وركنوا للمسالمة"، هو بالحقيقة اتهام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب قبل آل بيته، بأنه لا يتمتع بصفات العدل والإحسان والتسامح والعفو عند المقدرة، ومخافة الله تعالى (حاشاه أن يوصف بذلك رضي الله عنه وأرضاه)!

وسنأتي في هذا المقال على تفصيل ما جاء في وثيقة التحكيم بعد معركة صفين، وكان شهود هذا الجمع الإصلاحي هم آل البيت وصفوة الصحابة رضوان الله عنهم)، وفي مقدمتهم الحسن والحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وغيرهم العشرات من السادة الأبرار والصحابة الميامين رضوان الله عنهم أجمعين، وهنا السؤال لمن يمكنه الجواب: هل هؤلاء الكرام

هم شهود حقٍ وعدلٍ وأهل صلاحٍ وتقى أم شهود زورٍ ومخالفين لكتاب الله تعالى  
(حاشاهم جميعاً)؟!؟

نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

(1) هذا ما تقاضى عليه عليُّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما،  
فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

(2) قضية علي على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام  
شاهدتهم وغائبهم.

(3) إننا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نُحيي  
ما أُحيى ونُميت ما أُمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

(4) وإن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظراً وحاكماً، ورضي معاوية وعمرو  
بن العاص ناظراً وحاكماً.

(5) على أن علياً ومعاوية أخذوا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله  
وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذوا القرآن إماماً، ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم  
بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجدوا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله ﷺ الجامعة،  
لا يتعمدان لها خلافاً، ولا يبغيان فيها بشبهة.

(6) وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه  
بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا  
يخالفاه إلى غيره.

(7) وهما آمنان في حكومتهم على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما  
وأولادهما، لم يعدوا الحق، رضي به راضٍ أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارتها على

ما قضيًا به من الحق مما في كتاب الله.

(8) فإن توفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فليشيعة وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

(9) وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية، فليشيعة أن يُولَّوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

(10) وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

(11) وقد وجبت القضية على ما سَمَّيناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد، وكفى به شهيداً، فإن خالفاً وتعدّياً، فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

(12) والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوعة، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

(13) وللحكّمين أن ينزلا منزلاً متوسطاً عدلاً بين أهل العراق والشام.

(14) ولا يحضرهما فيه إلا من أحببنا عن تراضٍ منهما.

(15) والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجلاًها، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخرها.

(16) فإن هما لم يحكّما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل، فالفريقان على أمرهم الأول في الحرب.

(17) وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر، وهم جميعاً يد واحدة على من أراد في هذا الأمر إلحاداً أو ظلماً أو خلافاً.

وشهد على ما في هذا الكتاب: الحسن والحسين، ابنا علي، وعبد الله بن عباس،

وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والأشعث بن قيس الكندي، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن قيس الهمداني، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب بن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية النكري، ومالك بن كعب الهمداني، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية.

ومن أهل الشام: حبيب بن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، ويسر بن أرطاة القرشي، ومعاوية بن خديج الكندي، والمخارق بن الحارث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسكي، وعبد الله بن خالد بن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبحر العبسي، ومسروق بن جبلة العكي، ويسر بن يزيد الحميري، وعبد الله بن عامر القرشي، وعتبة بن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبي، ومسعدة بن عمرو العتيبي، والصبح بن جلهممة الحميري، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع، وتمامة بن حوشب، وعلقمة بن حكم.

كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين (الوثائق السياسية، ص 537 - 538)، وانظر: (الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، ص 196 - 199)، وانظر: (البداية والنهاية، ابن كثير، 276/7 - 277)، وانظر: (تاريخ الرسل والملوك، للطبري، 5 / 665 - 666) وانظر: أنساب الأشراف، البلاذري، 382/1).

المقال الرابع:

قصة التحكيم المشهورة، وبطلانها من وجوه

كثُر الكلام في ما يخص حادثة التحكيم بين الصحابة (رضوان الله عليهم) في معركة صفين، وتداولها بعض المؤرخين والكتّاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مُطيل في سياقها، ومختصر وشارح ومستنبط للدروس، وبنٍ للأحكام على مضامينها، وقلما تجد أحداً وقف عندها فاحصاً محققاً.

وقد تلقّف رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي بعض ما ورد في هذه القضية من أخبار بما فيها من تعارض للوثائق التاريخية والحقائق العلمية الثابتة، وألقاها أمام الجمهور، مظهراً لصحابة رسول الله ﷺ، والجبل الذي زكاه القرآن الكريم، مضرب الأمثال بالعدالة والتقى والزهد والورع، بمظهر الأشخاص العاديين الذين يخونون الأمانة، ويسفكون الدماء لأغراض دنيوية وبلا أي رادع. وقد جاء في قوله:

"حتى إنّ مجرد رفع المصاحف من عمرو بن العاص وهو الذي قال لا تخف لأن مالك الأشتر وصل إلى فسطاط معاوية ولم يبق إلا القليل حتى يقتله فمعاوية ارتعب: ماذا نصنع يا عمرو؟، قال: اتركها علي، أخذ القرآن وضعه على رمح وصاحوا انزل على حكم القرآن. جيش الإمام علي كله قال للإمام: هذا دعاك للقرآن، قال لهم: أنا القرآن الناطق وهذا القرآن صامت، هذه خدعة. قالوا له: دعاك إلى القرآن، وسلّوا سيوفهم على رأس الإمام علي" وذكرنا أقواله في المقالات السابقة حول ما قال عن غدر وخزلان أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إن جميع متون قصة التحكيم التي استند إليها رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي لا يمكن أن تصمد أمام معايير العلم والحقيقة التاريخية، بل هي مغالطات وشبهات من عدة وجوه: (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 404).

1- أن جميع طُرُقها ضعيفة، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلًا قال: قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراقيين، فعند ذلك حَكَمُوا

الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشتراط أن يرفعا ما رفع القرآن، ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ، وأتھما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح.

فلما انصرف عليّ خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فأذنوه بالحرب، وردوا عليه: أن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل، وقالوا: لا حكم إلا لله سبحانه، وقاتلوا.

فلما اجتمع الحكمان بأذرح، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير، ووافى معاوية بأهل الشام، وأبي علي وأهل العراق أن يوافقوا، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحداً من الناس برأي يتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك، قال: فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأرجعهما.

فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة؟ فإننا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونثبت حتى تجتمع الأمة؛ قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار؛ فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمرو، فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأياً، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك.

فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد.

فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما

تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألسنت تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أنت على أن نسبي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسّمه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك عليّ أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني؛ قال أبو موسى: أسمى لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحا مجلسهما حتى استبّتا.

ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو كمثل الذين قال الله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 175]. فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5]. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار. (مرويات تاريخ الطبري، ص 406)

والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلّة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة، كما قرّر العلماء، وهناك طريق أخرى أخرجها ابن عسّاكر بسنده إلى الزهري، وهي مرسلّة، وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يصنع الحديث. وفي سنده أيضاً الواقدي، وهو متروك، وهذا نصّها: (مرويات تاريخ الطبري، ص 406)

رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافقوا رأس الحول بأذرح، وحكّموا حكّمين ينظرون في أمور الناس فيرضوا بحكّمهما، فحكّم عليّ أبا موسى الأشعري (رضي الله عنهما)، وحكّم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس، فرجع عليّ إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه، فخرج عليه

الخوارج من أصحابه ممن كان معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه، ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما، وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدم أبا موسى فتكلم وخلع علياً ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع علياً وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما، وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين. (تاريخ دمشق، 53/16)

وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى؛ ضعيف ليس بثقة، وأخباري تالف غالى في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان ضعيفاً، وقال البخاري: وأبو حاتم كان يحيى القطان يضعفه. وقال عثمان الدارمي: ضعيف، وقال النسائي: ضعيف. (تحقيق مواقف الصحابة، 223/2)

هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفبمثل هذا تقوم حجة؛ أو يعوّل على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين، عصر القدوة والأسوة؛ ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطراب في متونها لكفاها ضعفاً فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها؟! (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 408)

2- أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها. (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 408)

3- وردت رواية تنقض تلك الروايات تماماً، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصراً بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولاً، عن الحصين بن المنذر: أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره، فأتته

فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه؛ كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عندهم راضٍ، قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما. (التاريخ الكبير، 398/5).

وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكره سيرة أبي بكر وعمر، وخوفه من الأحداث بعدهما، قال أبو موسى: قال لي عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحلُّ لهما، لقد غُبننا وأخطأ أو نقص رأيهما، والله ما كانا مغبونين ولا مُحْطَيْن ولا ناقصي الرأي، والله ما جاءنا الوهم والضعف إلا من قبلنا. (العواصم من القواصم، ص 178 . 180)

4- إنَّ معاوية (رضي الله عنه) كان يقر بفضل عليّ (رضي الله عنه) عليه، وأنه أحق بالخلافة منه؛ فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة عليّ (رضي الله عنه)، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد، عن أبي مسلم الخولاني: أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا. وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن أستم تعلمون أنّ عثمان قُتل مظلوماً؛ وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه. (سير أعلام النبلاء، 3/140)

فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله.

ويقول ابن حزم في هذا الصدد: بأن علياً قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ

(رضي الله عنه) واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أدّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك، وأصاب في هذا، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط. (الفصل في الملل والنحل، 160/4)

وفهم الخلاف على هذه الصورة - وهي صورته الحقيقية - يبيّن إلى أيّ مدى تخطئ الروايات السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكّمين. إن الحكّمين كانا مفوّضين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحقّ بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فإذا ترك الحكّمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذوا قراراً في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة، فمعنى ذلك: أنّهما لم يفضّوا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جدّاً. (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، 225/2)

5- أن الشروط التي يجب توفرها في الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون قرشياً.

وقد توفرت هذه الشروط في عليّ (رضي الله عنه)، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة - ولا شك في ذلك، وقد بايعه المهاجرين والأنصار أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك -؛ فقول معاوية السابق يدل عليه؛ بأن الإمام إذا لم يخل عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة؛ فإنّ عقد الإمام لازم، لا اختيار في حلّه من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تنفيذ الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تحيّر الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة،

ولما استمرت له قدرة واستطاعة، ولما صح لمنصب الإمام معنى. (غياث الأمم، ص 128)

وإذاً فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات: كل من لم يرضَ بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد، وبشـرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي (رضي الله عنه) فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال: إن الحكمين اتفقا على ذلك؟! فما ظهر منه قط إلى أن مات (رضي الله عنه)، شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر، والتقوى، والخير. (الفصل في الملل والأهواء والنحل، 238/4)

6- أن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة؟! لا شك أن الأحوال سترداد سوءاً، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا، ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلاً.

7 - أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة، وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذناً في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد، ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان؛ فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره. (مرويات أبي مخنف، ص 411)

8- أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم، والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم؛ فالحكممان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب إليهم ذلك، مع أن ابن

عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي، أعلم الناس بأمر الشام أنه قال: كان علي (رضي الله عنه) بالعراق يُدعى أمير المؤمنين، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دعي معاوية (رضي الله عنهما) بالشام أمير المؤمنين. (تاريخ الطبري، 76/6)

فهذا النص يبيّن أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي (رضي الله عنه)، وإلى هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع معاوية بالخلافة بإيلياء، وعلّق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي (رضي الله عنه) قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين؛ لأنه لم يبق له عندهم منازع. (البداية والنهاية، 16/8)

وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفتاً لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي (رضي الله عنه)، فإن فضل علي (رضي الله عنه) وسابقته وعلمه، ودينه وشجاعته، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان وغيرهم (رضي الله عنه) م. (الفتاوى، ابن تيمية، 73/35)

وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما». (صحيح مسلم، 1480/3)

والنصوص في هذا المعنى كثيرة، ومن المحال أن يُطبق الصحابة على مخالفة ذلك. (مرويات أبي مخنف، ص 412)

9- أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما

تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه؛ فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت. (البخاري، 48/5)

هذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إنَّ هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي معاوية (رضي الله عنهما). وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده.

فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم؛ دليل على اجتماع الكلمة على معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف.

10- حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة، أو إلى أهل الشورى؛ ليس إلا أمر الخلاف بين عليّ ومعاوية (رضي الله عنهما) حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعياً للخلافة ولا منكرًا حق عليّ فيها عما تقرر سابقاً، وإنما كان ممتنعاً عن بيعته وعن تنفيذ أوامره في الشام حيث كان متغلباً عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيداً من طاعة الناس له بعد أن بقي والياً فيها زهاء عشرين سنة. (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، 134/2)

وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه (أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين): قال أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري - الباقلاني - في مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلعه - علي بن أبي طالب... وعلى أنهما لو اتفقا

على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما شرطاً في الموافقة بينهما، أو إلى أن يبين ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونصّ كتاب عليّ (رضي الله عنه) اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمته، لا يجاوزان ذلك ولا يجيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما... والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويعظمانه ويشنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جهاده في جهاد المشركين، وقربته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة. (أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، ص 177)

11- مكان انعقاد المؤتمر: كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين - كما جاء في الوثيقة - في رمضان في عام 37 هـ، إذا لم تحدث عوائق، في موضع وسط بين العراق والشام، وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل، في روايات موثقة، وأذرح في روايات أخرى دونها في الإثقان، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثر في اختلاف الروايات، إذ يقول خليفة بن خياط... ويقال: بأذرح، وهي من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق. (خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 267)

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح، واستدل على ذلك ببعض روايات لم يبينها، وبالأشعار، وبخاصة بشعر ذي الرمة، في مدح بلال بن أبي بردة (ديوان ذي الرمة، ص 361)؛ وهو قوله:

أبوك تَلَا فِي الدِّينِ وَالنَّاسِ بَعْدَمَا      تَشَاءُوا وَبَيْتُ الدِّينِ مُنْقَلِعُ الكَسْرِ  
فَشَدَّ إِصْرَ الدِّينِ أَيَّامَ أَذْرَحٍ      وَرَدَّ حُرُوباً قَدْ لَقَحْنَ إِلَى عُقْرِ

12- هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكّمين؟: اجتمع الحكّمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام، وطلب الحكّمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته؛ وأفضل هؤلاء: سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، فإنه لم يحضر التحكيم، ولا أراد ذلك، ولا همّ به؛ فعن عامر بن سعد: أن أخاه عمّراً انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة، فلما أتاه قال: أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت! فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي». (خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 272)

المقال الخامس:

حقيقة الخطبة النبوية في غدير خم

لن نقف عند مقالات الرد على مغالطات وشبهات رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي بحق الصحابة (رضوان الله عليهم)، في ما يخص الوقائع التاريخية الحقيقية لمعركة صفين، وقضية رفع المصاحف والتحكيم، واعتماده على الروايات المكذوبة والمغرضة التي شوهت تاريخ تلك الأحداث، وأساءت لسير الصحب الكرام والآل الأطهار (رضوان الله عليهم جميعاً)، وإنما وجب البحث والتقصي ومقارنة الروايات التاريخية المتعددة حول حادثة غدير خم، والتي خطب المالكي خطبته في جمع عُقد في ذكراها، أيّ حادثة "خطبة الرسول الكريم ﷺ في منطقة غدير خم"، فهو اعتبر خطبته ﷺ في غدير خم بمثابة تهية لبيعة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في خلافة المسلمين وقيادتهم من بعده، وقال المالكي: "كثيرة هي الجهود التي بُذلت لكي ننسى الغدير ولم نساها أبداً، فالأمة تفاعلت مع الدم ومع الشهادة ومع الأحداث، فكانت ثورة الحسين شامخة، غير أنهم استطاعوا أن يُغيّبوا عنا أهم عيد، وأهم حدث في تاريخ المسلمين، وهو عيد الغدير الذي هو عيد الله الأكبر، وهو التأسيس للمسيرة الإسلامية بعد رس

ول الله صلى الله عليه وآله" انتهى كلامه!!

فما هي قصة خطبة غدير خم؟ وماذا قصد رسول الله ﷺ في كلامه آنذاك؟

## 1. غدير خم:

هو موقع بين مكة والمدينة بالجحفة (معجم البلدان، 289/2)، ويقع شرق رابغ بما يقرب من 26 كيلاً، ويسمونه اليوم الغربية (على طريق الهجرة، عاتق البلاد، ص 61)، ويذكر أنه في هذا الموقع خطب النبي ﷺ في الناس، وذكر فضل علي رضي الله عنه، واتخذ الشيعة هذه الحادثة أساساً يعتمدون عليه في تشيعهم الغالي له من جهة، واعتمدوا عليها في أحقية علي بالخلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة (أثر التشيع على الروايات التاريخية،

عبد العزيز محمد نور ولي، ص 299)، حتى ألف فيه كتاب من أحد عشر مجلداً، وهو كتاب الغدير ملأه مؤلفه بالأحاديث الموضوعة والضعيفة.

والصحيح ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: أنه قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماء يدعى حُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد؛ ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». قال له حصين – أي: الراوي عن زيد بن أرقم –: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نعم، ولكن أهل بيته من حُرِّ الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم ال علي، وال عقيل، وال جعفر، وال عباس، قال: كل هؤلاء حُرِّ الصدقة؟ قال: نعم (مسلم، رقم 2408). وجاء عند غير مسلم كالترمذي (سنن الترمذي، رقم 3713)، وأحمد (مسند أحمد، الموسوعة الحديثية، رقم 670)، والنسائي في الخصائص (خصائص علي، رقم 79)، والحاكم (المستدرک، 3/110)، وغيرهم جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه (حقبة من التاريخ، ص 182)».

وأما الزيادات الأخرى كقوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فهذه الزيادات صححها بعض أهل العلم، والصحيح أنها لا تصح، وأما زيادة: «انصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار»، فهذه زيادة مكذوبة عن النبي ﷺ (السلسلة الصحيحة للألباني، رقم 1750).

## 2. ما أسباب خطبة النبي المصطفى ﷺ في غدیر خم؟

وخطبة النبي ﷺ في غدیر خم لها سبب وجيه، فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد بن الوليد في اليمن ليخمس الغنائم ويقبض الخمس، فلما خمس الغنائم كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخمس، ثم إن علياً خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل، فسأله عن ذلك، فأخبرهم أن الوصفة التي كانت في السبي صارت له فتسرى بها. فكره البعض ذلك منه، وقدم بريدة بن الحصيب بكتاب خالد إلى النبي ﷺ، وكان ممن يبغض علياً، فصدّق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي، فقال له النبي ﷺ: «لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك» (مجمع الزوائد، 127/9)، فلما كانت حجة الوداع رجع علي (رضي الله عنه) من اليمن ليُدرِك الحج مع النبي ﷺ وساق معه الهدى (مسلم، رقم 1281)، وقد تعجل علي (رضي الله عنه) ليلقى الرسول ﷺ بمكة، واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند، فكسا ذلك الرجل الجند حلاً من البزّ (الثياب)، والذي كان مع علي، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، فقال لنائبه: ويلك ما هذا قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فانتزع الحلل وردها إلى البزّ، فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي (البداية والنهاية 95/5) و(السيرة النبوية، ابن هشام 259/4)، فلما اشتكى الناس علياً قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً.

قال ابن كثير: إن علياً (رضي الله عنه) لما كثرت فيه القليل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إيّاهم استعمال إبل الصدقة، واسترجاعه الحلل التي أطلقها لهم نائبه لذلك، والله أعلم، لما رجع الرسول ﷺ من حجته، وتفرغ من مناسكه، وفي طريقه إلى المدينة؛ مرّ بغدير خم، فقام في الناس خطيباً، فبرأ ساحة علي (رضي الله عنه)،

ورفع من قدره، ونبّه على فضله، لئيزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس (انظر: البداية والنهاية 95/5).

إن النبي ﷺ أحرّ الكلام إلى أن رجع إلى المدينة، ولم يتكلم، وهو في مكة في حجة الوداع أو في يوم عرفة، وإنما أجل الأمر إلى أن رجع، فهذا يدل على أن الأمر خاص بأهل المدينة؛ لأن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه من أهل المدينة فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريباً مئتين وخمسين كيلومتراً، والذي يقول: إنه مفترق الحجيج؛ فهذا غير صحيح، لأن مجتمع الحجيج مكة، فلا يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مئتين وخمسين كيلومتراً أبداً، فإن أهل مكة يبقون في مكة، وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن، وأهل العراق إلى العراق، وهكذا كل من أنهى حجه، فإنه يرجع إلى بلده، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مضاربها، فلم يكن مع النبي ﷺ إلا أهل المدينة، ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي ﷺ، والاختلاف بين أهل السنة والشيعة في مفهوم قول النبي ﷺ لا في الثبوت، فالشيعة يقولون: من كنت مولاه فعلي مولاه، أي: من كنت واليه فعلي واليه. وإن أهل السنة يقولون: إن مفهوم قول النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه أي: الموالاتة التي هي النصر والمحبة، وعكسها المعادة، وذلك لأمر:

- كلمة مولاه تدل على معاني متعددة. قال ابن الأثير: المولى يقع على الرب والمالك والمنعم والناصر والمحب والحليف والعبد والمعتق وابن العم والصحير (النهاية في غريب الحديث، 228/5)، كل هذه تطلق العرب على كلمة مولى.
- الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة؛ لأن النبي ﷺ لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة تحمل هذه المعاني التي ذكرها ابن الأثير، والنبي ﷺ هو أفصح العرب،

ولكان يقول: علي خليفتي من بعد، أو عليّ الإمام من بعدي، أو إذا أنا متُ فاستمعوا وأطيعوا لعليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ولكن لم يأت النبي ﷺ بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبداً، وإنما قال من كنت مولاه فعلي مولاه (حقة من التاريخ، ص 185).

- قال الله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ\*﴾ [الحديد: 15]؛ فسامها مولى لشدة الملاصقة مع الكفار والعياذ بالله.

- الموالاة هي وصف ثابت لعلي (رضي الله عنه) في حياة رسول الله ﷺ، وبعد وفاته، وبعد وفاة علي (رضي الله عنه)، فعليّ كان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهو مولى المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنه، فهو الان مولانا كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 55]. وعلي رضي الله عنه من سادة الذين آمنوا.

- قال الإمام الشافعي (رحمه الله) عن حديث زيد: يعني بذلك ولاء الإسلام كما قال الله تعالى: (النهاية في غريب الحديث، 228/5) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ\*﴾ [محمد: 11]. فالحديث لا يدل على أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ، وإنما يدل على أن علياً من أولياء الله تبارك وتعالى، تجب له الموالاة وهي المحبة والنصرة والتأييد (حقة من التاريخ، ص 187).

وعموماً، فإن هذه الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في غدير خم أراد بها تبرئة ساحة سيدنا علي (رضي الله عنه)، ورفع مكانته، والتنبيه على فضله ليزيل ما كان وقر في نفوس الناس من أصحابه الذين كانوا معه في اليمن، وأخذوا عليه بعض الأمور، والرسول ﷺ لم يرد أن يفعل ذلك أثناء موسم الحج؛ لأن الحادثة رغم انتشارها بقيت محدودة في أهل المدينة، كما أنه لم يؤخره حتى وصوله إلى المدينة، حتى لا يمكن

المنافقين من استغلال مثل هذه الحادثة في مكائدهم (أضواء على دراسة السيرة النبوية، صالح الشامي، ص 113 - 114)، ومما يدل على أن النبي ﷺ أراد من خطبته هذه بيان فضل علي (رضي الله عنه) للذين لم يعرفوا فضله، أنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب ينتقص في علي - وكان قد رأى من علي جفوة - تغير وجه النبي ﷺ، وقال: «يا بريدة ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (السلسلة الصحيحة، 4/336).

وهناك دراسة علمية قيمة في هذا الموضوع قدّمتها الأكاديمية المصري الدكتور علي بن أحمد السالوس بعنوان: "مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع 4 أجزاء"، فتحدث عن خطبة الغدير والوصية بالكتاب والسنة، وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعترة، وناقشها وحكم عليها، ثم قال: مما سبق نرى أن حديث الثقلين التي صح سندها صح متنها، وأن الروايات الثمانية التي تأمر بالتمسك بالعترة إلى جانب الكتاب الكريم لم تخل واحدة منها من ضعف في السند (مع الشيعة الاثني عشرية، 1/136)، وفي متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتاب وأهل البيت لن يفترقا حتى يرثا الحوض على رسول الله ﷺ، ومن أجل هذا وجب التمسك بهما، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار، فمن المتشيعين لأهل البيت من ضل وأضل، وأكثر الفرق التي كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لآل البيت ستاراً يحميها، ووجدت من المنتسبين لآل البيت من يشجعها لمصالح دنيوية، كأخذ خمس ما يغنمه الأتباع، إن عدم الضلال يأتي من التمسك بالكتاب والسنة، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك واستحقوا أن يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا\*﴾ [الفرقان: 74] أي أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا، ولا يختص هذا بأهل البيت ولكن بكل من يعتصم بالكتاب والسنة، فالروايات التي ضعف سندها لا يستقيم متنها

كذلك، وهذا ضعف آخر ومع هذا كله، فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامة الأئمة الاثني عشر وأحقيتهم للخلافة (مع الشيعة الاثني عشرية، 1/136).

قال العلامة المناوي (رحمه الله) في فقه روايات الحديث: إن ائتمرت بأوامر كتابه، وانتهيتم بناهيه، واهتديتم بهدي عترتي، واقتديتم بسيرتهم، اهتديتم فلم تضلوا (فيض القدير، 3/14). وقال ابن تيمية (رحمه الله) بعد أن بين أن الحديث ضعيف لا يصح: وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة. قالوا: ونحن نقول بذلك، كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره. وقال أيضاً: إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع، والعتره بعض الأمة، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العتره (منهاج السنة النبوية، 4/105).

إن حديث الثقلين، في قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي» (سنن الترمذي، كتاب المناقب، رقم 3786). وفيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والثابت عند مسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله، والوصية بأهل البيت كما مر من حديث زيد بن أرقم في مسلم، فأوصى بكتاب الله، وحث على التمسك به ثم قال: «وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فالذي أمر بالتمسك به كتاب الله وأما أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فأمر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاها الله تبارك وتعالى إياها (حقة من التاريخ، ص 203).

### ورداً على فهم الشيعة الخاطيء لحديث الثقلين من وجوه:

- إن عتره الرجل هم أهل بيته، وعتره النبي صلى الله عليه وسلم هم كل من حرمت عليه الزكاة وهم بنو هاشم، هؤلاء هم عتره النبي صلى الله عليه وسلم، فالشيعة ليس لهم أسانيد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يقرون بهذا أنهم ليس

عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم وإنما هي كتب وجدوها وقالوا ارووها فإنها حق، أما أسانيدهم كما يقول الحر العاملي وغيره من أئمة الشيعة إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد (حقبة من التاريخ، المصدر السابق نفسه)، فأين لهم ما يروونه في كتبهم ثابت عن عترة النبي صلى الله عليه وسلم؟ بل أهل السنة هم أتباع عترة النبي صلى الله عليه وسلم وأعطوهم حقهم، ولم يزيدوا ولم ينقصوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق نفسه: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا: عبد الله ورسوله» (البخاري، رقم 3445).

- إمام العترة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وبعده يأتي في العلم عبد الله بن عباس الذي هو حبر الأمة، وكان يقول بإمامة أبي بكر وعمر قبل علي رضي الله عنهم بل إن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر (البخاري، رقم 3671). فعلي يقرّ بفضل الشيخين وهو إمام العترة (حقبة من التاريخ، ص 204).

- إن الشيعة يطعنون في العباس (رجال النجاشي، ص 52)، ويطعنون في عبد الله ابنه، ويطعنون في أولاد الحسن، وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذين يدعونهم كزيد بن علي (بحار الأنوار، 194/46)، وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري (الكافي، 504/1)، وغيرهم فهم ليسوا بأولياء للنبي صلى الله عليه وسلم وعترة بل أولياء النبي وعترة هم الذين مدحهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم (حقبة من التاريخ، ص 205).

### 3. فهم صحابة رسول الله ﷺ للخطبة النبوية في غدیر خم:

فهم الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) بأن المراد بالمولى أو الولي هو ما ارتبط بالحب والولاء والطاعة، ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بمناداته يا مولانا، فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ عليه يقول يوم غدیر خم: «من كنت مولاه فهذا مولاه» قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري (فضائل الصحابة 702/2).

إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث هو أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين علياً قد استنكر منهم مناداته ب (يا مولانا)، ولو كان أمير المؤمنين علي العربي الفصيح يراها مرادفة: يا أميرنا أو: يا إمامنا؛ لما استنكر على القائلين تلك المناداة (ثم أبصرت الحقيقة، ص 200).

- روت كتب الشيعة الاثني عشرية أقوالاً لبعض أهل البيت ينفون؛ فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فقد قيل للإمام الحسين بن علي الذي كان كبير الطالبين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقال: بلى ولكن - والله - لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله، وكان ينفي أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله (ثم أبصرت الحقيقة، ص 201، كذلك الرواية في كتب أهل السنة؛ الاعتقاد للبيهقي، ص 182 — 183؛ ومن كتب الشيعة: بصائر

المؤمنين للصفار، ص 153 — 156)، فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرين له، فما ترى غيرهم يقولون (ثم أبصرت الحقيقة، ص 201)؟

#### 4. حديث استخلاف علي (رضي الله عنه) على المدينة في غزوة تبوك:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحقق منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام (المرتضى للندوي، ص 55)، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة علياً، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس مما بداخلهم من حقد ونفاق فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم ما تركه إلا لثقله عليه وهذا القول منهم في حقه، علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن علياً رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم: أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق (صحيح مسلم).

وعند ذلك أدرك علي الجيش وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله! أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي» (البخاري، رقم 2404).

وليس في هذا الحديث ما يستدل به الشيعة على كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) خليفة لرسول الله ﷺ، والرد عليهم من وجوه:

الوجه الأول: الحديث المذكور له سبب هام لا ينبغي أن يغفل، وأن يفهم الحديث دونه، فقد طعن المنافقون في علي رضي الله عنه، فبين رسول الله ﷺ مكانته وفضله، وكذب المنافقين.

الوجه الثاني: من الثابت: أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى (عليه السلام)، والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله بالتالي غير منطبق، ولو أراد رسول الله ﷺ النص على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لقال له مثلاً،

أنت مني بمنزلة يوشع من موسى، لأن نبي الله يوشع استخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، ولكن ذكر رسول الله ﷺ لهارون عليه السلام الذي كان خليفة موسى عليه السلام في حياة موسى لا بعد وفاته ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول صلى الله عليه وسلم له في المدينة مستخلفاً على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبيّن له النبي عليه الصلاة والسلام أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه، وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى، فاستخلفني لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون عليهما السلام استخفافاً به وتنقيصاً له، وإنما ائتماناً له وثقة به، وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب رضي الله عنك.

الوجه الثالث: هارون عليه السلام لم يكن وصياً لموسى عليه السلام، بل نبياً ووزيراً بنص القرآن، وقياس حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي قياساً مع الفارق، علماً بأنهم يرفضون القياس أصلاً.

الوجه الرابع: الاستدلال بكون هارون (عليه السلام) وزيراً لكليم الله موسى (عليه السلام) على وزارة أمير المؤمنين علي لرسول الله ﷺ أعجب من الأولى، ذلك لأن الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيراً لنبيه موسى عليه السلام قال في محكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿أَشِدُّ بِهِ أَمْرِي﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿[طه: 29-32]﴾ فهل يرى من يدعي التطابق بين الاثنين كون علي رضي الله عنه مشاركاً لرسول الله ﷺ في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام في أمره؟! من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام (ثم أبصرت الحقيقة، ص 215).

الوجه الخامس: لقد استخلف النبي ﷺ على المدينة غير علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)؛ ففي غزوة بدر استخلف عبد الله بن أم مكتوم، واستخلف في غزوة سليم، سباع بن عُرفطة الغفاري، أو ابن أم مكتوم على اختلاف في ذلك، واستخلف في

غزوة السويق، بشير بن عبد المنذر، واستعمل على المدينة في غزوة بني المصطلق، أبا ذر الغفاري، وفي غزوة الحديبية، نُمَيْلة بن عبد الله الليثي، كما استعمله أيضاً في غزوة خيبر، وفي عمرة القضاء استعمل عوف بن الأضبط الديلي، وفي فتح مكة، كلثوم بن حصين بن عتبة الغفاري، وفي حجة الوداع، أبا دجاجة الساعدي ذكر هذا ابن هشام في مواقف متفرقة من السيرة، إضافة إلى أن استخلاف علي على المدينة لم يكن الأخير فقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في حجة الوداع غير علي، وهذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية القادة كما حدث عندما أَمَّرَ أبا بكر على الحج، واختصه أيضاً بإمامة الصلاة وحده (السيرة النبوية لابن هشام، 650/2، 804، 806).

الوجه السادس: أما تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بهارون فهذه فضيلة، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه أبا بكر وعمر بأعظم من هارون؛ ففي غزوة بدر، لما كانت قضية الأسرى واستشار النبي ﷺ أبا بكر، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفادوهم قومهم، ورأى عمر أن يقتلهم، فقال ﷺ لأبي بكر: «إن مثلك كمثلك إبراهيم يوم قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾\* [إبراهيم: 36]، ومثلك كمثلك عيسى إذ قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾\* [المائدة: 118]». ثم التفت إلى عمر فقال: «يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾\* [نوح: 26]، ومثلك كمثلك موسى لما قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾\* [يونس: 88]» فشبهه أبا بكر بإبراهيم وعيسى وشبه عمر بنوح وموسى، وأولئك من أولي العزم، وهم خير البشر بعد رسول الله ﷺ، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بهارون تكريم له كما كَرَّمَ النبي صلى الله عليه وسلم

أبا بكر وعمر عندما شبههم بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح عليهما السلام (حقة من التاريخ، ص 200).

ز. من أقوال العلماء في شرح الحديث:

- قال النووي (رحمه الله)، وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة (شرح صحيح مسلم، 174/13).

- قال ابن حزم - رحمه الله - بعد أن ذكر احتجاج الرافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده؛ لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى - عليه السلام - يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة، وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل؛ فصح أن كونه - رضي الله عنه - من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط، وأيضاً فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك...

ثم قد استخلف ﷺ قبل تبوك وبعد تبوك في أسفاره رجالاً سوى علي - رضي الله عنه -؛ فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي - فضلاً على غيره - ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين (الفصل، 159/4 . 160).

الوجه السابع: الحكمة في عدم تخصيص رسول الله ﷺ من بعده أحداً ليتولى أمر

الأمة تتضح في إدراكنا لحقيقة الدين الإسلامي كدين رباني للبشرية، وأنه لو حدد الرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً من بعده، فإنه يكون قد أعطى المسوغ الشرعي ليدعي المدعون وقد فعلوا بدون برهان — بأن قيادة الأمة من حق أسرة بعينها، ويصبح الحكم الوراثي هو الحكم السائد في الإسلام، ولكن رسول الله ﷺ أراد . وهو لا ينطق عن الهوى إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . أن يترك هذا الأمر مطلقاً للمسلمين أن يختاروا أصلحهم وأخيرهم، ولو كانت المسألة وراثية لكان بنو هاشم أول من ينالون هذا الأمر (دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص 270).

إن هذا الدين العظيم هو دين لبني الإنسان ورسول الله ﷺ هو رسول الرحمة المهداة للعالمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وثقافتهم وأوطانهم في كل زمان ومكان. فالإسلام، بأي حال من الأحوال، لا يصح أن يكون محصوراً في أسرة حاكمة واحدة، ويظل متوارثاً كالمتاع، وإذا كانت العهود الإسلامية التالية فعلت ذلك، كالدولة الأموية والعباسية، فإن هذا مخالف للقاعدة الشرعية النبوية الأولى، وما كان خلاف القاعدة، ينبغي أن يُنحى هذا المفهوم القاصر كليةً من الفكر الإسلامي حتى يصبح ناصعاً نقياً لا تشوبه شائبة (المصدر السابق نفسه).

المقال السادس:

سيرة أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) في ميزان العدل  
والإنصاف

جاء في كلمة رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي وصف الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) بخيانة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ويشير بذلك إلى ما يتناقله أعداء الصحابة أهل الظلم والتعصب، من أنّ أبا موسى الأشعري (رضي الله عنه) خان علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) في حادثة التحكيم التي وقعت في معركة صفّين، معتمدين على الروايات الضعيفة والموضوعة، تاركين وراء ظهورهم ما اشتهر به الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) من العلم والفضل والتقوى والورع، إذ يشهد على ذلك ما تواتر من أخبار تاريخية وروايات صحيحة تدحض تلك الافتراءات المختلقة، والأكاذيب الباطلة، بحق هذا الصحابي الكريم المعروف بعلمه وورعه وحيائه وجهاده وعبادته، وعزة نفسه، وزهده في الدنيا، والثبات على الإسلام، بل هو معدود من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، كما سيأتي بيانه.

وتقدّم في خمسة مقالات سابقة تفصيل الكلام حول حادثة التحكيم ورفع المصاحف والخطبة النبوية في غدیر خم، ولكن في هذا المقال سنتناول سيرة هذا الصحابي الكريم - الذي حاول رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي تشويهها والنيل منها- ومناقبه، وحياته زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين الأربعة (رضوان الله عليهم أجمعين).

## 1- اسمه وكنيته وإسلامه:

هو عبد الله بن قيس بن حضّار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ. (سير أعلام النبلاء، 2/381)

وقد أسلم أبو موسى بمكة قديماً؛ قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة، وتذكر بعض الروايات بأنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله. وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد

استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي ﷺ بالمدينة، فألقتهم السفينة في أرض الحبشة، فحضروا مع جعفر إلى النبي ﷺ بخير.. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة، فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد.

## 2- أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله ﷺ على صدر أبي موسى:

أ. لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليّ:

عن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي، ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رهم، وأبو عامر. فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي، وعند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليّ»، وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوباً للإسلام منكم». فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة. (سير أعلام النبلاء، 384/2)

ب. هم قومك يا أبا موسى:

عن عياض الأشعري، قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]. قال رسول الله ﷺ: «هم قومك يا أبا موسى»، وأوماً إليه.

ج. اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً:

عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين، بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس، فلقي دُرَيْدُ بن الصُّمَّة فقتل دريد، وهزم الله أصحابه؛ فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته. فقلت: يا عمّ، مَنْ رماك؟ فأشار إليه. فقصدت له، فلحقته، فلما رأني، ولَّى ذاهباً، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألسنت عربياً؟ ألا تثبت؟ قال: فكفّ، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فقتلته. ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء. فقال: يا بن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له: يستغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً، ثم مات. فلما قدمنا، وأخبرتُ النبي ﷺ، توضّأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعبيد بن أبي عامر»، حتى رأيت بياض إبطيه. ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك» فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً».

د - إن هذا قد ردّ البشري فاقبلا أنتما:

عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة، فأتى أعرابي فقال: ألا تُنجز لي ما وعدتني؟ قال أبشر: قال: قد أكثرت من البشري. فأقبل رسول الله ﷺ عليّ وعلى بلال. فقال: «إنّ هذا قد ردّ البشري فاقبلا أنتما». فقالا: قبلنا يا رسول الله. فدعا بقدرح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: «اشربا منه وأفرغا على رؤوسكما ونحوركما» ففعلا؛ فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن فضّلا لأُمَّكُما، فأفضلا لها منه.

هـ لقد أعطي مزاراً من مزامير آل داود:

عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: «يا بريدة، أترأه يُرائي؟» قلت: الله ورسوله

أعلم. قال: «بل هو مؤمن منيب، لقد أعطي مزمراً من مزامير آل داود». فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري؛ فأخبرته.

و. يا عبد الله بن قيس ألا أدُّلك على كلمة من كنوز الجنة:

عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقبة، فإذا أصعد الرجل قال: لا إله إلا الله، والله أكبر — أحسبه قال: بأعلى صوته — ورسول الله ﷺ على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: «أيها الناس، إنكم لا تُنادون أصمَّ ولا غائباً». ثم قال: يا عبد الله بن قيس — أو يا أبا موسى — ألا أدُّلك على كلمة من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله».

ز. يَسِّرًا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تُنفرا:

استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زبيد وعدن، وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبي موسى: أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن، قال لهما: «يَسِّرًا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تُنفرا»، فقال له أبو موسى: إنا لنا بأرضنا شراباً، يُصنع مع العسل يقال له: البتّع، ومن الشعير يقال له: المزُرُّ، قال: «كلُّ مسكر حرام»، فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه في صلاتي، وعلى راحلتي، وقائماً وقاعداً، أتفوقه تفوقاً، يعني شيئاً بعد شيء، قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكان معاذاً فُضِّل عليه. (تحقيق مواقف الصحابة، 226/2).

### 3- مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ما:

كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر، وكان قائداً للجيش في فتح قم وقاثان، وموقعة تستر، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق، وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها (تفسير التابعين، 423/1)

وقد تأثر بعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ما، وكان بينهما مراسلات، وكان أبو موسى (رضي الله عنه) قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى (رضي الله عنه) من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في (تذكرة الحفاظ) في الطبقة الأولى من الصحابة (رضي الله عنه). (البداية والنهاية، 114/7)

كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علماً طيباً مباركاً، أقرأ أهل البصرة وأفقههم، وقد كان (رضي الله عنه) كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً، وكان عمر يتعهدُه بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحداً من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى.

وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر (رضي الله عنه) ما، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى (رضي الله عنه) أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟! قال: إنه فقه، فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة. (أبو موسى الأشعري الصحابي العلم المجاهد، محمد طهماز، ص 121)

وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعلم كان حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيهم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علماً فليعلمه،

ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين.

وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتفِ بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيهم، فإذا ما سلّم من الصلاة استقبل (رضي الله عنه) الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم. (سير أعلام النبلاء، 289/2)

واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته، وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعون يقرأ، وكان عمر (رضي الله عنه) إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل (رضي الله عنه) كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسّمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يطوف عليهم يُسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم، فالقرآن الكريم شغله الشاغل (رضي الله عنه)، صرف له معظم أوقاته في حلّه وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر (رضي الله عنه)، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيّس، ولا تُسمعها إياه. (سير أعلام النبلاء، 389/2)

حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه، فعن حطّاب بن عبد الله الرقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حلّقاً، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهبّ الناس للوضوء أيضاً

فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث.

وأثرت جهوده العلمية (رضي الله عنه)، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمئة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم؛ كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن ثلاثمئة وبضعة رجال. (أبو موسى الأشعري، ص 129)

واهتم أبو موسى (رضي الله عنه) بتعليم السنة وروايتها؛ فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي - رحمه الله - : حدث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النهدي، وخلق سواهم. (سير أعلام النبلاء، 381/2)

وكان (رضي الله عنه) شديد التمسك بسنة النبي ﷺ، دلَّ على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر (رضي الله عنه) من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة (رضي الله عنه) م، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي ﷺ.

وكان من المقرّبين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرياً، فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما بطاً بالناس؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عجلت الدنيا وغيبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا بدّلوا.

(أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهاز، ص 135)

ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال

أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر، فسألني عن أحوال الناس، وبعد (فتح تستر) أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم، فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان.

#### 4- ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم):

يعتبر أبو موسى — بحق — أشهر ولاية البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكّن البصريون من فتح الأهواز وما حولها، وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شؤونها.

وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا؛ منها: توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة، ومنها: نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاوله إسعاد الرعية، وهي قيّمة قال فيها عمر: أما بعد؛ فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فترتعت فيها تبغي السمن، وإنما حثفها في سمنها. (مناقب عمر لابن الجوزي، ص 130)

وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواحٍ إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابه القيم عن الوثائق السياسية.

وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات، حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد وهو الحسن البصري — رحمه الله — فقال: ما قدمها راكب

خير لأهلها من أبي موسى، إذ إن أبا موسى - رحمه الله - كان بالإضافة إلى إمارته  
خير معلم لأهلها، حيث علّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة. (سير أعلام النبلاء،  
389/2)

وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس، والتي فتحت في زمنه  
تخضع للبصرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله،  
ويرتبطون به ارتباطاً مباشراً، وهكذا اعتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر، واعتبرت  
مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته،  
وبيّنت ملامح أسلوبه في التعامل معهم.

وقد أوصى عمر (رضي الله عنه) في وصيته للخليفة من بعده: ألاّ يقَرَّ لي عامل  
أكثر من سنة، وأقَرُّوا الأشعري أربع سنين. (سير أعلام النبلاء، 391/2)

وقد تولى أبو موسى منصب القضاء في عهد عمر، وكان كتاب عمر إليه في القضاء  
أ نموذجاً ومثالاً يفيد كل قاض، بل وكل إداري، في كل زمان ومكان، وقال عنه ابن  
القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم، والشهادة،  
والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه. (خلافة علي بن أبي طالب، عبد  
الحميد، ص 262)

كما تولى الولاية في عهد عثمان، واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضاً، ولما قتل  
عثمان كان والياً على الكوفة. ولما تولى علي (رضي الله عنه) الخلافة، أخذ أبو  
موسى له البيعة من أهل الكوفة، إذ كان والياً عليها لعثمان بن عفان (رضي الله  
عنه)، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذي قار، رأى أبو موسى بوادر الفتنة  
والانشقاق بين المسلمين، فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم ويعتزلوا هذا الأمر  
فإنما هي فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي. ولكن لاختلاف  
وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة. (التاريخ الصغير، 109/11)

إن حياة أبي موسى (رضي الله عنه) منذ إسلامه قضاها في نشر الإسلام وتعليم الناس العلم، وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته، والجهاد في سبيل الله والحرص عليه، والفصل في الخصومات، ونشر العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك إن هذه المهمات صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة؛ من العلم والفهم والفتنة والحذق والورع والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله ﷺ، ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم، فهل يتصور أن يثق رسول الله ﷺ ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي ترويتها قصة التحكيم. (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، 2/227)

إن اختيار أبي موسى - (رضي الله عنه) - حكماً عن أهل العراق من قبل عليّ - (رضي الله عنه) - وأصحابه ينسجم تماماً مع الأحداث، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان في الوقت نفسه محبوباً، مؤتمناً من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة: أن علياً (رضي الله عنه) هو الذي اختار أبا موسى الأشعري، يقول خليفة في تاريخه: وفيها - سنة 37 هـ - اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري من قبل عليّ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية. (تاريخ خليفة، ص 191)

ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا على الصلح، وحكّموا الحكمين، فحكّم عليّ أبا موسى، وحكّم معاوية عمرو بن العاص (رضي الله عنهم).

ولهذا يمكن القول: إن الدور المنسوب للقراء في صفين من مسؤولية وقف القتال والتحكيم، وفرض أبي موسى حكماً ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعمهم أن يظهر عليّ - (رضي الله عنه) - بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام، وأن يرغب في الصلح مع أعدائهم التقليديين، من جهة أخرى يحملون

المسؤولية أعداءهم الخوارج، ويتخلصون منها، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفسها، فهم الذين أجبروا علياً (رضي الله عنه) على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم. (تحقيق مواقف الصحابة، 215/2)

إن هذا العرض الموجز عن أبي موسى الأشعريّ (رضي الله عنه) أردنا من خلاله أن نبين شخصيته (رضي الله عنه) في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم)، وعلو كعبه عندهم، وعظم مكانته لديهم، بما يردّ - عند القارئ المنصف - وصف الخيانة الذي تحمل نوري المالكي وزره ووصفه به. إنّ أبا موسى من الشخصيات المؤثرة في عصر الخلفاء الراشدين وله مكانة عظيمة وحساسة كما مر، وقد تعرضت للتشويه، وغالباً إذا تحدث أحد عن صفين والتحكيم؛ تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص (رضي الله عنهما) للتشويه والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والمكذوبة، التي وضعتها أيدي البغض والخيانة لأهل الصدق والوفاء وحملة الدين العظيم.

المقال السابع:

سيرة عمرو بن العاص (رضي الله عنه) في ميزان العدل  
والإنصاف

لم يكتفِ رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي بالإساءة والتخوين للصحابيين معاوية بن أبي سفيان وأبي موسى الأشعري (رضي الله عنهما) ولأهل الشام، وللصحب الكرام (رضوان الله عليهم) في معرض خطبته في ذكرى الخطبة النبوية في غدِير خم أمام جمعٍ من أنصاره، بل أساء - بجرأة - للصحابي الجليل ورجل العلم والفضل، والقائد الميمون الذي كان نعم السند بعد إسلامه في دعوة النبي المصطفى ﷺ، والخلفاء الراشدين في جهادهم وحروبهم، وفي توسيع دولة الإسلام، ومساهمتهم في توطئة الفتح في جنوب الشام، ومصر وليبيا.

وصف الوزير العراقي السابق المالكي الصحابي الجليل عمرو بن العاص، بقوله: "من هذا الخبيث عمرو بن العاص، وهو الذي قال لا تخف حين وصل مالك الأشتر إلى فسطاط معاوية، ولم يبق إلا القليل حتى يقتله، فمعاوية ارتعب وسأل عمرو: ماذا نصنع؟، قال: اتركها عليّ، فأخذ القرآن، ووضعه على رمح، وصاح مع جماعته أنزل على حكم القرآن" انتهى قوله.

وهذا الخطاب الذي يوافق أهواء أولئك الذين شوّهوا سير الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين العاملين، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ، هم أبرّ الناس قلوباً، وأحسنهم خلقاً، وأعمقهم علماً، ونحن بذكرهم نقرب منهم لتعلم من إيمانهم وثباتهم وبطولاتهم ومناقبهم ومآثرهم، وولاءهم لله تعالى ورسوله ﷺ.

ولأجل ذلك، وجدت أهمية الحديث عن سيرة ومناقب الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، التي لا تحجبها الأهواء ولا الأغراض السياسية والمذهبية الضيقة، وإنما كانت سيرته واضحة وضوح الشمس لكل من عاش تلك الفترة أو كتب عنها أو نقل أخبارها بأمانة وصدق وموضوعية، وإنها سيرة أقل ما يمكن أن يُقال عنها: سيرة مشرّفة، وصفحة مضيئة من صفحات هذه الأمة العظيمة، وهو الذي ذكره ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة من طريق الليث، قال:

نظر عمر بن الخطاب إلى عمرو يمشي، فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً. فمن هو عمرو بن العاص (رضي الله عنه)؟! وما هو فضله وأثره في تاريخ المسلمين؟

## 1. عمرو بن العاص (رضي الله عنه): نسبه وأصله

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يكنى أبا محمد، وأبا عبد الله، ويتفق ابن إسحاق (في المعجم الكبير، الطبراني، 53/9). والزيبر بن بكار (الإصابة 2/3)؛ خلافة علي، عبد الحميد، ص 263): أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة، وذكر ابن حجر: أنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح، وقيل: بين الحديبية وخيبر (تهذيب التهذيب، 56/8).

## 2. إسلام عمرو بن العاص (رضي الله عنه)

نترك عمرو بن العاص رضي الله عنه يحدثنا عن إسلامه، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق؛ جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأبي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم (معناها الجلد)، فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إننا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني أجزت عنها (بمعنى كفيتها)، حيث قتلت رسول محمد.

قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إليّ من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك! إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله؟! قال: قلت: أيها الملك، أأعطيها لك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم (استقام المنسم: تبين الطريق ووضح)، وإن الرجل لنبي، أذهب والله، فأسلم، فحتى متى، قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم.

قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله!، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله: «يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها»، قال: فبايعته ثم انصرفت (صحيح السيرة النبوية، ص 494. وانظر: سير أعلام النبلاء، 3/60. وفي: السيرة لابن هشام، 2/267).

وفي رواية قال: ... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأباعدك. فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «مالك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشرط ماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله» (مسلم، كتاب الإيمان، رقم 121).

### 3. عمرو بن العاص (رضي الله عنه) يقود سرية في ذات السلاسل 7 هـ:

جهز النبي ﷺ جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، وذلك لتأديب قضاة التي غرّها ما حدث في مؤتة التي اشتركت فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمئة من المهاجرين، والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد، فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة بن الجراح (السيرة النبوية الصحيحة، 471/2)، وقاتل المسلمون الكفار، وتوغّل عمرو في ديار قضاة التي هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصدقاتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بني عبس، وبني مرة، وبني ذبيان، وكذلك فزاره وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سليم، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في بلادهم جميعها (السيرة النبوية لأبي شهبه، 433/2. وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، 280/4).

ونجد في هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

#### أ. إخلاص عمرو بن العاص:

بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني، فأتيته، وهو

يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطأ، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة سالحة»، قال: قلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال، ولكنني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ، قال: «يا عمرو! نعم المال الصالح للمرء الصالح» (رواه ابن حبان في الموارد، رقم 2277).

فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام، وحرصه على ملازمة رسول الله ﷺ، وقد بين له رسول الله ﷺ: أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح، لأنه يبتغي وجه الله ويصرفه في وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية، وغيرها من وجوه البر ويُعْفُ به نفسه وأسرته، ويغني به المسلمين (التاريخ الإسلامي، الحميدي، 133/7).

ونستنبط من الحديث: أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي ﷺ، كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث، فهو أيضاً مطلوب ومحمود، وهذا خير له وللإسلام والمسلمين.

### ب . حرص عمرو على سلامة قواته:

بعث رسول الله ﷺ عمراً في غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عمرو: لا يُوقدَنَّ أحد ناراً، فلما قدم شكوه، قال: يا نبي الله، كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قتلهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين؛ فأعجب ذلك رسول الله ﷺ (سير أعلام النبلاء، 66/3).

### ج . من فقه عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل،

فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً (سير أعلام النبلاء، 67/3، إسناده صحيح).

وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله، ودقة استنباطه الحكم من دليله (غزوة الحديبية لأبي الفارس، ص 210)؛ ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام، فإن الذي يستوقفنا (معين السيرة، ص 381)، ومنها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادراً على فقه الأمور من خلال الآيات، وهو لم يمض على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله.

وقد يكون عمرو — وهذا احتمال وارد — على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ نكون أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين، وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن، كما رأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام (مسند أحمد، 203/1).

### 3. فضل عمرو بن العاص ومناقبه (رضي الله عنه)

أ. شهادة رسول الله ﷺ له بالإيمان:

قال رسول الله ﷺ: «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص» (سلسلة الأحاديث الصحيحة، 238/1). وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام» (الطبقات، 191/4)، وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة

مع النبي ﷺ فتفرقوا، فرأيت سالماً احتبي سيفاً فجلس في المسجد فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل، فخرج رسول الله ﷺ فرآني وسالماً، وأتى الناس فقال: «أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان» (مسند أحمد (203) بسند حسن).

ب . تقديم رسول الله ﷺ له على غيره، وشهادته له بأنه من صالح قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحداً منذ أسلمنا في حرب (سنن البيهقي، باب إسلام عمرو بن العاص، 43/4)، وشهد له رسول الله ﷺ بأنه من صالح قريش، فعن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عمرو بن العاص من صالح قريش»؛ وهنا درس نبوي في معرفة النبي ﷺ لمعادن الرجال والاستفادة منها (سنن الترمذي، باب مناقب عمرو بن العاص، رقم 3844).

ج . دعاء رسول الله ﷺ له:

عن زهير بن قيس البلوي عن عمه علقمة بن رمثة البلوي، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم خرج رسول الله ﷺ، ثم استيقظ فقال: «رحم الله عمراً». فتذاكرنا من اسمه عمرو، ثم نعس ثانية فاستيقظ، فقال: «رحم الله عمراً». ثم نعس الثالثة فاستيقظ، فقال: «يرحم الله عمراً». قلنا: من عمرو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن العاص»، قلنا: وما باله؟ قال: «ذكرته؛ إني كنت إذا ندبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فأجزل، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله خيراً كثيراً». قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا، قال فيه رسول الله ما قال، فلم أفارقه (المعجم الكبير، 5/18).

4. أعمال عمرو بن العاص في عهد أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم)

كان رسول الله ﷺ قد أرسل عمراً إلى دعوة أبي الجلودي: جيفر، وعباد، إلى

الإسلام، ودعاها إلى الإسلام، وصدقا بالنبي ﷺ، وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم، وكانا له عوناً على من خالفه (الطبقات (262/1)؛ جوامع السيرة لابن حزم، ص 24، 29).

وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجّه الصديق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق خيره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله ﷺ، وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة، إلا أن الذي هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاهها وأفضلها فارم به (إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، ص 55). فلما قدم المدينة أمره أبو بكر رضي الله عنه أن يخرج من المدينة، وأن يعسكر حتى يندب معه الناس... ثم أرسله بجيش إلى الشام (فتوح الشام للأزدى، ص 48 — 51). وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين.

وبعد وفاة الصديق، فقد استمر عمرو في الشام، وكانت له مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام، فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين (تاريخ الطبري، 605/3). وانظر: الكامل لابن الأثير، 498/2)، كما قام رضي الله عنه بفتح غزة، واللُدّ، ويُننى، وعمّواس، وبيت جبرين، ويافا، ورَفَح، وبيت المقدس، ولم يقتصر عمرو رضي الله عنه على فتح بلاد الشام وحدها، بل شمل أيضاً بعض مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصدر أمره إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر، فخرج رضي الله عنه حتى وصل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضاً: الفرما، والفسطاط، وحصن بابلون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونين، وأخميم، والبشرود، وتنيس، ودمياط، وتونة، ودقهلة، ودمياط، والإسكندرية، وبلاداً إفريقية أخرى؛ مثل: برقة، وزويلة، وطرابلس (سير

## أعلام النبلاء، 70/3).

وقد شهد له الفاروق عمر بن الخطاب، بصفات الزعامة والإمامة، فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً (سير أعلام النبلاء، 70/3).

وكان في عهد عثمان من المقرّبين إلى الخليفة، ومن أهل مشورته، ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً إلى الشام، وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذلّ، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابنه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت، وتتابع على ذلك ما شاء الله (تاريخ الطبري نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان، ص 464). وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه، وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)؛ قال عمرو بن العاص (رضي الله عنه): أنا أبو عبد الله تكون في حرب من حك فيه قرحة نكأها، رحم الله عثمان ورضي الله عنه وغفر له. فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر العرب! إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذ كسر الباب، فقال عمرو: وذلك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشافٍ (أيّ الباب المثقب)، تخرج الحق من حافة البأس، ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فَيَاهُفَ نَفْسِي عَلَى مَالِكٍ      وَهَلْ يَصْرِفُ مَالِكٌ حِفْظَ الْقَدَرِ

نَزَعَ مِنَ الْحَرِّ أَوْدَى بِهِمْ      فَأَعْدَرَهُمْ أُمَّ بِقَوْمِي سَكْرَ

(وهنا الحرّ معناه الظلمة الشديدة).

ثم ارتحل راجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه! أنعي الحياء والدين، حتى قدم دمشق (تاريخ الطبري نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان، ص 464).

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه، والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا؛ فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب (عمرو بن العاص للغضبان، ص 481).

وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب (سفراء النبي ﷺ، محمود شيت خطاب، ص 508)، وعبد الخالق سيد أبو رابية (عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، ص 316)، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنهما: ... انتهازيان صاحباً مصالح، ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله، فهذا لا يعني للعقاد شيئاً، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: ... وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سند، ولا نصه، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل على كل منهما، ولولاه لما كان بينهما اتفاق (عمرو بن العاص للعقاد، ص 231، 232).

إن شخصية عمرو رضي الله عنه الحقيقية أنه رجل مبادئ غادر المدينة حين عجز عن نصرته عثمان، وبكى عليه بكاءً مُراً حين قتل، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان من غير ولاية، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما يتعاوننا معاً على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد (عمرو بن العاص للغضبان، ص 489، 490)، لقد كان مقتل عثمان كافياً لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين

السفاكين، وكان لا بد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرؤوا على حرم رسول الله ﷺ، وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟! وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع؛ فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمراً همهم السلطة والحكم (عمرو بن العاص للغضبان، ص 492).

وفي الختام نقول: إن تهج المسلم في حديثه عن المسلمين الذين سبقوه بالإيمان حتى لو لم يكونوا من الصحابة الكرام (رضوان الله عنهم) ذكره الله تعالى في سورة الحشر (الآية 10) في قوله:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ صدق الله العظيم

## المقال الثامن:

خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب  
وحرصه على حقن دماء المسلمين ووحدة الأمة

لم يُحدّثنا الوزير العراقي الأسبق نوري المالكي عن الفقه الكبير والمنهج الإصلاحى القويم، وحقيقية السيادة، والذي تجاوز بها إمام آل البيت والمسلمين فى زمانه سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) تلك الأزمات والابتلاءات التي مرّت بها الأمة الإسلامية، وحرصه الشديد على حقن الدماء، ووحدة المسلمين ورغبته فى ما عند الله سبحانه وتعالى. وهو سبّط رسول الله ﷺ، وإمام عظيم من أئمة الإصلاح والحل والعقد والحكمة فى أيام تنازع المسلمين، وفى خلافته التي توجّها فى عقد صلح تاريخى عام أعاد للمسلمين عزهم وهيبتهم ومكانتهم، وتوسّعهم، ونشر الإسلام فى مناطق واسعة من العالم آنذاك.

ولذلك، رأيت أنه من المناسب فى هذا المقام أن أذكر نفسى والإخوة القراء من أبناء الأمة الإسلامية بهذا السيد العظيم الذي وصفه الرسول المصطفى ﷺ بالسيادة، وذلك فى رواية الحسن البصرى فى قول رسول الله ﷺ: "ابن هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" (صحيح البخارى، رقم 2704) وانظر: (ابن حجر العسقلانى، 262/4).

إن منهج أهل البيت (رضوان الله عنهم) الذي تركوه للأمة، التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والحرص على حقن دماء المسلمين ووحدهم ولمّ شملهم، والرغبة فى ما عند الله. ولعل من أوضح صفحات تاريخنا الإسلامى مرحلة وعصر خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه)، والذي قاد مشروعه الإصلاحى الكبير، والذي كُلى بنجاح مبهر، وسأتحديث فى هذا المقال عن هذا المشروع الكبير الذي عمل عليه لتوحيد الأمة وحقن الدماء بين المسلمين (إن شاء الله)، فما هو مشروع الحسن بن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) الإصلاح الذى توجّ بتوحيد الأمة الإسلامية فى زمانه؟ وما عوامل الصلح وشروطه ونتائجه كما رآها؟

أولاً: مشروع الحسن بن علي (رضي الله عنهما) الإصلاحية وتوحيد الأمة  
كانت بيعة الحسن بن علي (رضي الله عنهما) في شهر رمضان من عام 40 هـ،  
وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على يد  
الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وقد اختار الناس الحسن بعد والده، ولم يعين  
أمير المؤمنين أحداً من بعده، فعن عبد الله بن سبيع قال: سمعت علياً يقول: لتخضبن  
هذه من هذا فما ينتظر بي الأشقي قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته،  
قال: إذن والله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا: فاستخلف علينا، قال: لا، ولكن أترككم  
إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيت؟ قال: أقول: اللهم  
تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن  
شئت أفسدتهم. وفي رواية: أقول: اللهم استخلفني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني  
وتركتك فيهم (الطبقات، 35/3 . 38).

وبعد مقتل علي صلى عليه الحسن بن علي (رضي الله عنهما)، وكبر عليه أربع  
تكبيرات، ودفن بالكوفة، وكان أول من بايعه قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك  
أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه؛ وقتل المحلّين، فقال له الحسن (رضي الله عنه):  
على كتاب الله وسنة نبيه؛ فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط: فبايعه وسكت، وبايعه  
الناس (تاريخ الطبري، 6/77).

وقد اشترط الحسن بن علي (رضي الله عنه) على أهل العراق عندما أرادوا بيعته  
فقال لهم: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت، وفي  
رواية قال لهم: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون  
من سالمت وتحاربون من حاربت، وفي رواية ابن سعد: إن الحسن بن علي بن أبي  
طالب (رضي الله عنه) بايع أهل العراق بعد علي بن أبي طالب، بايعهم على الإمرة،  
وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضي به (الطبقات، تحقيق محمد  
السلمي، 287/1، 286).

ويستفاد من الروايات السابقة: ابتداء الحسن (رضي الله عنه) في التمهيد للصلح فور استخلافه، وقد باشر الحسن بن علي (رضي الله عنه) سلطته كخليفة، فرتب العمال وأمر الأمراء وجند الجنود وفرق العطايا، وزاد المقاتلة في العطاء مئة مئة فاكتسب بذلك رضاهم، وكان في وسعه أن يخوض حرباً لا هوادة فيها ضد معاوية (رضي الله عنه)، وكانت شخصيته الفذة من الناحية العسكرية، والأخلاقية، والسياسية، والدينية تساعده على ذلك مع وجود عوامل أخرى، كوجود قيس بن سعد بن عبادة، وعدي بن حاتم الطائي وغيرهم في صفه من الذين لهم من القدرات القيادية الشيء الكثير، إلا أن الحسن بن علي (رضي الله عنه) مال إلى السلم والصلح لحقن الدماء، وتوحيد الأمة، والرغبة فيما عند الله، وزهده في الملك ... وغير ذلك من الأسباب، وقد قاد الحسن بن علي (رضي الله عنه) مشروع الإصلاح الذي توج بوحدة الأمة (تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص 67).

وقد تنازل الحسن بن علي (رضي الله عنه) من موقع قوة في سبيل الإصلاح، وجمع كلمة المسلمين، ولدينا دلائل تشير إلى ذلك؛ ولعل من أبرزها:

### 1 . الشرعية التي كان يملكها الحسن بن علي (رضي الله عنه):

لقد اختير الحسن بن علي (رضي الله عنه) بعد والده اختياراً شورياً، وأصبح الخليفة الشرعي على الحجاز واليمن والعراق، وكل الأماكن التي كانت خاضعة لوالده، وقد استمر في خلافته

سنة أشهر، وتلك المدة تدخل ضمن الخلافة الراشدة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بأن مدتها ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً، فقد روى الترمذي بإسناده إلى رسول الله ﷺ؛ حيث قال: «الخلافة في أمي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك» (سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذبي، 397/6 . 395).

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي (رضي الله عنه)، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى

وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ؛ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل نبوة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً، وبذلك يكون الحسن بن علي (رضي الله عنه) خامس الخلفاء الراشدين (البداية والنهاية، 134/11).

وقد تحدث عن شرعية الحسن بن علي (رضي الله عنه) بالخلافة كثير من علماء أهل السنة؛ منهم: أبو بكر بن العربي، والقاضي عياض، وابن كثير، وشارح الطحاوية، والمناوي، وابن حجر الهيتمي، ولو أراد الحسن (رضي الله عنه) أن يتعب معاوية (رضي الله عنه) بحكم أن الشرعية معه لأمكن ذلك، ولقام بترتيب حملة إعلامية منظمة في أوساط أهل الشام، لكسب ثقتهم أو على الأقل زعزعة موقف معاوية بينهم، فقد كان يملك قوة معنوية ونفوذاً روحياً لا يستهان به بحكم الشرعية التي يستند إليها، ولكونه حفيد الرسول ﷺ (أحكام القرآن، ابن العربي، 1720/4).

## 2. تقييم الحسن بن علي (رضي الله عنه) للموقف وقدراته القيادية:

فعندما قال له نفيير بن الحضرمي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمته، ويحاربون من حاربت، فتركها ابتغاء وجه الله. فهذه شهادة الحسن (رضي الله عنه)، بأنه كان في وضع قوي، وبأن أتباعه على استعداد لمحاربة من يريد أو مسالمتهم. (البداية والنهاية، 206/11).

كما كان (رضي الله عنه) يملك من الملكات الخطابية والفصاحة البيانية، وصدق العاطفة وقوة التأثير والقرب من رسول الله ﷺ وإرادة الإصلاح مما يجعله أكثر قوة وتماسكاً، ودليلنا على ذلك: ما قام به من استنفار أهل الكوفة للخروج مع والده، وكان أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) قد ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال والفتنة، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة، فقد أرسل علي (رضي الله عنه) قبل الحسن محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر،

ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، وأرسل علي بعد ذلك هشام بن عقبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته لتأثير أبي موسى عليهم، وأتبعه علي بعبد الله بن عباس، فأبطؤوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن، تاريخ الطبري (514/5). وكان للحسن أثر واضح، فقد قام في الناس خطيباً وقال: أيها الناس، أجيئوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتيم. ولبي كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل ولا ننسى أن أبا موسى الأشعري كان والياً على الكوفة ومن قيادات العراق المحبوبين من عهد عمر، وهو من هو في علمه وزهده ومكانته عند الناس، ومع ذلك فقد استطاع الحسن (رضي الله عنه) أن يكسب أهل الكوفة لصفه، وخرجوا معه (تاريخ الطبري، 514/5).

### 3. وجود بعض القيادات الكبيرة في صفه:

كان معسكر الحسن بن علي فيه من القيادة الكبيرة، كأخيه الحسين، وابن عمه عبد الله بن جعفر، وقيس بن سعد بن عبادة – وهو من دهاة العرب –، وعدي بن حاتم وغيرهم (رضي الله عنهم)، فلو أراد الخلافة لأعطى المجال لقياداته للتحرك نحو تعبئة الناس والدخول في الحرب مع معاوية (رضي الله عنه)، وعلى الأقل يكون خليفة على دولته إلى حين.

### 4. معرفته لنفسية أهل العراق:

كانت له قدرات خاصة في التعامل مع أهل العراق ومعرفة نفوسهم، ولذلك زاد لهم في العطاء منذ بداية خلافته، كما أن مهمته التي قادها في نجاح مشروعه الإصلاحية كانت أصعب من حربه لمعاوية (رضي الله عنه)، ومع ذلك تغلب على الكثير من العوائق التي واجهته، فقد حاولوا قتله، ورفض بعض الناس الصلح، وغير ذلك من العوائق، إلا أنه تغلب عليها كلها وحقق الأهداف التي رسمها من حقن الدماء،

ووحدة الأمة، وأمن السبيل، وعودة حركة الفتوح ... إلخ؛ مما يدل على قدراته القيادية الفذة.

## 5. تقييم عمرو بن العاص ومعاوية لقوات الحسن (رضي الله عنهم):

فقد جاء في البخاري: استقبل والله الحسن بن علي معاوية (رضي الله عنهم) بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني أرى كتائب لا تُولي حتى تقتل أقرانها. فقال معاوية، وكان والله خير الرجلين: أي عمرو، إن قتل هؤلاء من لي بأمر الناس؟! من لي بنسائهم؟! من لي بضيعتهم؟! فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز - فقال: اذهبوا إلى هذا الرجل فاعرضوا عليه وقولا له، واطلبوا إليه (البخاري، كتاب الصلح رقم 2704).

أ - عمرو بن العاص (رضي الله عنه)؛ الصحابي الجليل، والقائد العسكري الشهير، والسياسي المحنك، والذي عركته الحروب يقول: إني أرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها.

ب - معاوية (رضي الله عنه)؛ تقيمه للموقف العسكري بأنه لا يستطيع أحد أن ينتصر ويحقق حسماً عسكرياً إلا بعد خسائر فادحة للطرفين، ولا يستطيع معاوية حتى لو كان هو المنتصر أن يتحمل تركة الحرب من أرامل وأيتام وقتل خير المسلمين، وما يترتب على ذلك من مفاسد كبرى اجتماعية وسياسية واقتصادية وأخلاقية للأمة الإسلامية، ولذلك اختار معاوية شخصيتين كبيرتين من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أصحاب النفوذ في المجتمع الإسلامي، ولهم حضور واحترام عند الحسن، وهما من قريش، فالشخصيتان اللتان أرسلهما معاوية (رضي الله عنه) تدل على حرصه على نجاح الصلح مع الحسن بأي ثمن ممكن، وقد ظل زمام الموقف بيد الحسن بن علي (رضي الله عنهما) ويد أنصاره، ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية (رضي الله عنه) إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط

والضمانات، وكان عرف ضعف جانب الحسن، وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه ومطالبه (دراسة في تاريخ خلفاء الدولة الأموية، ص 61).

ثانياً: مراحل الصلح وأسبابه ونتائجه

### 1. أهم مراحل الصلح:

مر الصلح بمراحل؛ من أهمها: (مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص. ص 126، 128، 156).

**المرحلة الأولى:** دعوة رسول الله ﷺ للحسن بأن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فتلك الدعوة المباركة دفعت الحسن رضي الله عنه إلى الإقدام على الصلح بكل ثقة وتصميم.

**المرحلة الثانية:** شرط البيعة الذي وضعه الحسن رضي الله عنه أساساً لقبول مبايعة أهل العراق له، ذلك الشرط الذي نص على أنهم يسالمون من يسالم ويحاربون من يحارب.

**المرحلة الثالثة:** وقوع المحاولة الأولى لاغتيال الحسن رضي الله عنه بعد أن كشف عن نيته في الصلح مع معاوية رضي الله عنه، وهذه المحاولة يبدو أنها قد جرت بعد استخلافه بقليل.

**المرحلة الرابعة:** خروج الحسن بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وإرساله للقوة الضاربة من الجيش، وهي الخميس إلى مسكن بقيادة قيس بن سعد بن عباد.

**المرحلة الخامسة:** خروج معاوية رضي الله عنه من الشام وتوجهه إلى العراق بعد أن وصل خبر خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن بجيوشه.

المرحلة السادسة: تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقوع الصلح بينهما رضوان الله عليهما.

المرحلة السابعة: محاولة اغتيال الحسن رضي الله عنه، فبعد نجاح مفاوضات الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، شرع الحسن رضي الله عنه في تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح الذي تم، فقام فيهم خطيباً ليبين لهم ما تم بينه وبين معاوية، وفيما هو يخطب هجم عليه بعض عسكره محاولين قتله، لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه كما أنجاه من قبل.

المرحلة الثامنة: تنازل الحسن بن علي عن الخلافة، وتسليمه الأمر إلى معاوية رضوان الله عليهم أجمعين: بعد أن أنجى الله سبحانه وتعالى الحسن بن علي من الفتنة التي وقعت في معسكره، ترك المدائن وسار إلى الكوفة، وخطب في أهلها فقال: أما بعد فإن أكيس الكيس (العاقل) التقي، وإن أحق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة إصلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً كان لامرأى كان أحق به مني، ففعلت ذلك ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾\* [الأنبياء: 111].

## 2. أهم أسباب ودوافع الصلح:

وأما أهم الأسباب والدوافع للصلح الذي تم بين الحسن ومعاوية؛ فهي:

– الرغبة فيما عند الله وإرادة صلاح هذه الأمة:

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما رداً على نفي بن الحضرمي عندما قال له: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة. فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سلمت، ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله (البداية والنهاية (206/11)).

– دعوة الرسول ﷺ له:

إن دعوة الرسول ﷺ بأن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين دفعت الحسن إلى التخطيط والاستعداد النفسي للصلح والتغلب على العوائق التي في الطريق، فقد كان هذا الحديث الكلمة الموجهة الرائدة للحسن في اتجاهاته وتصرفاته ومنهج حياته، فقد حلت في قرارة نفسه، واستولت على مشاعره وأحاسيسه، واختلطت بلحمه ودمه، ومن خلال هذا التوجيه واستيعابه وفهمه له بنى مشروعه الإصلاحية، وقسم مراحلها، وكان متيقناً من نتائجه، فالحديث النبوي كان دافعاً أساسياً وسبباً مركزياً في اندفاع الحسن للإصلاح.

#### - حقن دماء المسلمين:

قال الحسن رضي الله عنه: ... خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً، أو أكثر أو أقل كلهم تنضج أوداجهم دماً، كلهم يستعدي الله: فيم هُرِيقَ دمه؟ (البداية والنهاية، 206/11). وقال رضي الله عنه: ألا إن أمر الله واقع، إذ ما له دافع وإن كره الناس، إني ما أحببت أن لي من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعني ممَّا يضرنني، الحقوا بطيتكم (تاريخ دمشق، 89/14).

#### - الحرص على وحدة الأمة:

قام الحسن بن علي رضي الله عنهما خطيباً في إحدى مراحل الصلح، فقال: أيها الناس! إني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة، وإني ناظر لكم كنظري لنفسي، وأرى رأياً فلا تردوا علي رأبي، إن الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تجبون من الفرقة (الأخبار الطوال، ص 200).

وقد تحقق بفضل الله ثم حرص الحسن على وحدة الأمة ذلك المقصد العظيم، فقد ارتأى رضي الله عنه أن يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين، وتجنباً للمفاسد العظيمة التي ستلحق الأمة كلها في المال إذا بقي مصراً على موقفه، من استمرار

الفتنة، وسفك الدماء، وقطع الأرحام، واضطراب السبل، وتعطيل الثغور وغيرها، وقد تحققت - بحمد الله - وحدة الأمة بتنازله عن عرض زائل من أعراض الدنيا، حتى سمّي ذلك العام عام الجماعة (اعتبارات المالات ومراعاة نتائج التصرفات، ص 167)، وهذا يدل على فقه الحسن في معرفته لاعتبار المالات، ومراعاته التصرفات.

#### - مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

من الأسباب التي دعت أمير المؤمنين الحسن بن علي إلى الصلح ما رُوّع به من مقتل أبيه، فقد ترك ذلك فراغاً كبيراً في جبهة العراق، وأثر اغتياله على نفسية الحسن رضي الله عنه، فترك فيها حزناً وأسى شديدين، فقد قتل هذا الإمام العظيم بدون وجه حق، ولم يرع الخوارج سابقته في الإسلام وأفضاله العظيمة، وخدماته الجليلة التي قدمها للإسلام فقد كانت حياته حافلة بالقيم والمثل والعمل على تكريس أحكام الشريعة على مستوى الدولة والشعب.

لقد كان علياً رضي الله عنه معلماً من معالم الهدى وفارقاً بين الحق والباطل، فكان من الطبيعي أن يتأثر المسلمون لفقدته، ويشعروا بالفراغ الكبير الذي تركه، فقد كان وقع مصيبة مقتله على المسلمين عظيماً فجلّ لهم الحزن، وفاضت ماقبهم بالدموع، ولهجت ألسنتهم بالثناء والترحم عليه، وكان مقتله سبباً في تزهيد الحسن في أهل العراق؛ أولئك الذين غمرتهم مكارم أخلاق أمير المؤمنين وشرف صحبته، فأضلتهم الفتن والأطماع، وانحرفوا عن الصراط المستقيم، ونسثني من أولئك الصادقين المخلصين لدينهم وخليفتهم الرّاحل العظيم رضي الله عنه وأرضاه، فقد كان مقتله ضربة قوية وجهت لعهد الخلافة الراشدة، وكانت من أسباب زوالها فيما بعد.

#### - شخصية معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)

إن تسليم الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية؛ مع أنه كان معه أكثر من أربعين ألفاً بايعوه على الموت، فلو لم يكن أهلاً لها لما سلمها السببط الطيب إليه، ولحاربه

(الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص 57)، فقد ذكر المترجمون والمؤرخون لسيرته فضائل كثيرة وأعمال جليلة يأتي ذكرها بإذن الله تعالى في هذا الكتاب.

### - اضطراب جيش العراق وأهل الكوفة:

كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان تسببت في ملل أهل العراق للحرب، ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام في صفين، فإن حربهم ليست كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم؛ فكم يَتَمَتُّ من الأطفال، ورَمَلت من النساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى إلى فريق منهم؛ تميل إليه نفوسهم وإن كانوا يعلمون أن علياً على حق (خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص 345)، فقد استلم الحسن رضي الله عنه الخلافة، وجيش العراق مضطرب وأهل الكوفة مترددون في أمرهم (الشيعة وأهل البيت، ص 379؛ نقلاً عن الاحتجاج، للطبرسي، ص 148)، وهذا ليس على إطلاقه؛ فجيش الحسن يمكن تقويته، كما أن هناك فصائل منه على استعداد للقتال؛ وعلى رأسهم قيس بن سعد الخزرجي وغيره من القادة (خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي، للصلابي، ص 358).

### - قوة جيش معاوية:

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بشتى الوسائل سراً وعلانية على إضعاف جانب أهل العراق منذ عهد علي رضي الله عنه، فاستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، واجتمعت لمعاوية رضي الله عنه عوامل ساعدت على قوة جبهته؛ منها: طاعة الجيش له، واتفاق الكلمة عليه من أهل الشام، وخبرته الإدارية

في ولاية الشام، وثبات مصادره المالية، وعدم تخرجه من دفع الأموال من أجل تحقيق أهدافه التي يراها مصلحة للأمة.

### ثالثاً: شروط الصلح

تحدثت الكتب التاريخية والمصادر الحديثة وأشارت إلى حصول الصلح وفق شروط وضعها الطرفان، وقد تناثرت تلك الشروط بين كتّاب التاريخ، وحاول بعض العلماء جمعها وترتيبها. واستثناساً إلى ما وصلوا إليه نذكر أهم شروط الصلح؛ منها:

#### - العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء:

وقد ذكر هذا الشرط مجموعة من العلماء؛ منهم: ابن الحجر الهيثمي، حيث ذكر صورة الصلح بين الحسن ومعاوية وجاء فيها: صالحه على أن يُسلم إليه ولاية المسلمين، وأن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين (الصواعق المرسلّة، 399/2)، وحتى بعض كتب الشيعة ذكرت هذا الشرط، وهذا دليل على توقيف الحسن بن علي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلى حدّ جعل من إحدى الشروط على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم: أن يعمل ويحكم في الناس بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخلفاء الراشدين (الشيعة وأهل البيت، ص 54)، وفي النسخة الأخرى: الخلفاء الصالحين (منتهى الآمال 212/2)؛ نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص 54)، ففي هذا الشرط ضبط لدولة معاوية مرجعيتها ومنهجها في الحياة.

#### - الأموال:

ذكر البخاري في صحيحه أن الحسن قال لوفد معاوية؛ عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال.. فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به (البخاري، كتاب الصلح رقم 2704).

فالحسن يتحدث عن أموال سبق أن أصابها هو وغيره من بني عبد المطلب، يريد الحسن أن لا يطالبهم معاوية، ولا ذكّر لأموالٍ يطلب من معاوية أن يدفعها إليه من قادم (دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 64)، وأما الروايات التي تشير بأن يجري معاوية للحسن كل عام مليون درهم، وأن يحمل إلى أخيه الحسين مليوني درهم في كل عام، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس، وكأن الحسن باع الخلافة لمعاوية، فهذه الروايات، وما قيل حولها من تحليل وتفسير لا تقبل ولا يعتمد عليها، لأنها تصور إحساس الحسن بمصالح الأمة يبدو ضعيفاً أمام مصالحه الخاصة. أما حقه من العطاء فليس الحسن فيه بواحد من دون المسلمين، ولا يمنع أن يكون حظه منه أكثر من غيره، ولكنه لا يصل إلى عشر معشار ما ذكرته الروايات.

#### - الدماء:

ويتضمن اتفاق الصلح بين الجانبين أن الناس كلهم امنون؛ لا يؤخذ أحد منهم بصفوة أو إحنة، ومما جاء في رواية البخاري: أن الحسن قال لوفد معاوية: ... وإن هذه الأمة عاثت في دمائها، فكفل الوفد للحسن العفو للجميع فيما أصابوا من الدماء (البخاري، كتاب الصلح 963/2)، وقد تمّ الاتفاق على عدم مطالبة أحد بشيء كان في أيام علي؛ وهي قاعدة بالغة الأهمية تحاول دون الالتفات إلى الماضي، وتركز على فتح صفحة جديدة تركز على الحاضر والمستقبل (الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، ص 341)، وقد تمّ التوافق المبني على الالتزام والشرعية؛ حيث تمّ الصلح على أساس العفو المطلق من كل ما كان بين الفريقين، قبل إبرام الصلح، وبالفعل لم يعاقب معاوية أحداً بذنب سابق، وتأسس بذلك صلح الحسن على الإحسان والعفو، وتأليف القلوب.

- ولاية العهد، أم ترك الأمر شورى بين المسلمين: قيل: ومما اتفق الجانبان عليه من الشروط: أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسن (فتح الباري، 70/13)،

وأن معاوية وعد إن حدث به حدث والحسن حي يُسميَّه وليجعلن الأمر إليه (سير أعلام النبلاء، 264/3)، ولكن ابن أكرم روى في هذا الخصوص عن الحسن أنه قال: أما ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب في ذلك، ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه (الفتوح، 3، 493/4)، وجاء في نص الصلح الذي ذكره ابن الحجر الهيثمي: .. بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

وعند التدقيق في روايات طلب الحسن الخلافة بعد معاوية، نجد أنها تتنافى مع أنفة وقوة وكرم الحسن، فكيف يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين وابتغاء مرضاة الله، ثم يوافق على أن يكون تابعاً يتطلب أسباب الدنيا، وتشرئبُ عنقه للخلافة مرة أخرى؟! والدليل على أن هذا غير صحيح ما ذكره جبير بن نفير قال: قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركها ابتغاء مرضاة الله (البداية والنهاية، 206/11).

ومن الملاحظ أن أحداً من أبناء الصحابة أو الصحابة لم يذكروا خلالبيعة يزيد شيئاً من ذلك، فلو كان الأمر كما تذكر الروايات عن ولاية عهد الحسن بعد معاوية، لاتخذها الحسين بن علي رضي الله عنهما حجة، ولكن لم نسمع شيئاً من ذلك على الإطلاق، مما يؤكد على أن مسألة خلافة الحسن لمعاوية لا أساس لها من الصحة، ولو كان الحسن رضي الله عنه أسند إليه منصب ولاية العهد في الشروط لكان قريباً في عهد معاوية من إدارة الدولة أو تولى إحدى الأقاليم الكبرى، لا أن يذهب إلى المدينة وينعزل عن إدارة شؤون الحكم، كما أن روح ذلك العصر يشير إلى مبدأ اختيار الأمة للحاكم عن طريق الشورى هو الأصل.

## رابعاً: نتائج الصلح

إن أهم نتائج الصلح هي:

- 1 . توحد الأمة تحت قيادة واحدة.
- 2 . عودة الفتوحات إلى ما كانت عليه.
- 3 . تفرغ الدولة للخوارج.
- 4 . انتقال العاصمة الإسلامية إلى بلاد الشام.

## خلاصة القول:

كان الحسن بن علي (رضي الله عنهما) ذا خلق حميدٍ وفكر نيرٍ وقول رصينٍ يجنح إلى السلم، وكان (رضي الله عنه) يملك رؤية إصلاحية واضحة المعالم، خضعت لمراحل وبواعث، وتغلب على العوائق، وكتب شروطه، وترتب على صلحه نتائج، وأصبح هذا الصلح من مفاخر الحسن على مر العصور وتوالي الأزمان، فكان في صلحه مع معاوية وحقنه لدماء المسلمين، كعثمان في جمعه للقران، وكأبي بكر في حربه للمرتدين (مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 134).

ولا أدل على ذلك في كون هذا الخلق الإيماني والإقدام من الحسن (رضي الله عنه) يعدُّ علماً من أعلام النبوة، والحجة في ذلك ما أخرجه البخاري من طريق أبي بكر (رضي الله عنه)، كما ذكرنا في أول المقال، قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر والحسن بن علي على جنبه وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

وكم كنا نأمل من رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي أن يسير على نهج الخليفة الراشدي المصلح الحسن (رضي الله عنه) في الطريق الذي من شأنه أن يُصلح بين المسلمين، ويوحد كلمتهم، ويقوي صقّهم، ولا يثير أسباب الخلاف والتباعد والإفساد بينهم. وقد خالف المالكي بإساءته لصحابة رسول الله الكرام (رضوان الله

عنهم) وعامة المسلمين، ذلك المنهج الإصلاحى الذى مارسه سيدنا الحسن (رضى الله عنه)، ومن سار على دربه (رضوان الله عنهم)، الذى يجمع ولا يفرق، ويؤلف ولا يخالف، ويقرّب ولا يُبعد، ويهدي ولا يضلّ. فالأمة اليوم فى أشد الحاجة إلى تذكر سيرة الحسن بن علي فى الإصلاح ورؤيته لواقع الأمة ومستقبلها، وإن من ادعى محبة آل البيت وعمل على تفريق الأمة، وتمزيق صفوفها، واستباحة دمائها ومقدساتها، والإساءة إلى الصحابة الكرام (رضى الله عنهم)، فقد حاد عن نهجهم وطريقتهم، وعن طريقة ونهج الحسن بن علي (رضى الله عنه).

وأختم هذا النقاش فى كشف مغالطات وشبهات جاءت بها كلمة السياسى العراقى الأسبق نوري المالكي بالحجة والبرهان والأدلة العقلية والحجج المنطقية، سائلاً الله تعالى لي وله ولجميع المسلمين الهداية والسداد، والنطق بالحق والعمل للحق، والالتزام بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

المقال التاسع:

كتب تاريخية ساهمت بتشويه تاريخ الصحابة الكرام (رضوان  
الله عليهم)

ناقشنا في ثمانية مقالات سابقة مغالطات وشبهات رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي، ورددنا على إساءاته لبعض صحابة رسول الله الكرام (رضوان الله عليهم)، وبيننا ما ذكره حول بعض الأحداث التاريخية المشهورة التي وقعت في زمن الصحابة مثل معركة صفين، إذ كان بعض ما ذكره من المسطور في بطون الكتب التاريخية القديمة، والتي لم تعتمد الدقة في النقل، فلم تُمحص الأخبار، ولم تُجرِ عليها قواعد التصحيح والتضعيف، فمُلت بالعث والسمن، واختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالكاذب.

ومع التنويه أنّ كثيراً من أولئك المؤرخين لم يتقصّدوا الكذب ولا التزوير للتاريخ، ولكن كانوا ينقلون ما يُروى لهم، ويثبتونها بأسانيدھا في كتبهم، ولسان حالهم يقول هذا ما جاءنا ونرويه لكم برجال السند؛ ولذلك قيل: "من أسند فقد أحالك"؛ أي: أحالك على السند لتنظر في صحته أو ضعفه". كما أن هناك بعض كتب التاريخ تقصّدت الكذب وتزوير التاريخ، وبعضها منسوب لعلماء لم يؤلفوها أصلاً، وبعضها عبّثت بها أيدي الغدر والخيانة، وغيرت بها وبدلت وزادت ونقصت؛ ولأن كثيراً من الناس غاب عنه هذه المعاني وظنّ أنّ كلّ ما سطرّ في كتب التاريخ صحيح واقع على الحقيقة؛ وجب ذكر بعض هذه الكتب التي ورد فيها ما فيه تشويه أو تزوير لتاريخ الصحابة الكرام الأطهار، ومن هذه الكتب:

### 1. (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة:

من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه (الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي) مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذباً وزوراً، ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى (الإمامة والسياسة) ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب (المعارف).

إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب، في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه مؤلف (الإمامة والسياسة) يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا؛ ففي منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب (الإمامة والسياسة) فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة، توفي سنة 148 هـ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة 213 هـ أي: بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

- إن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيراً ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة. ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة، ولم ترد في كتاب من كتبه.

- إن مؤلف (الإمامة والسياسة) يروي عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين. (عقيدة الإمام ابن قتيبة، علي العلياني، ص 90)

ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء؛ فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة. تحقيق مواقف الصحابة، 144/2).

ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب (الإمامة والسياسة) الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم. يقول الدكتور علي نفيح العلياني في كتابه (عقيدة الإمام ابن قتيبة) عن كتاب الإمامة والسياسة: وبعد قراءتي لكتاب (الإمامة والسياسة) قراءة فاحصة ترجّح عندي أن مؤلف (الإمامة والسياسة) رافضي خبيث، أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة نظراً لكثرتها، ونظراً لكونه معروفاً عند الناس بانتصاره لأهل الحديث وقد يكون من رافضة المغرب، فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب. ومما يرجّح أن مؤلف (الإمامة والسياسة) من الروافض ما يلي: (الفتاوى لابن تيمية، 391/17)

• أن مؤلف (الإمامة والسياسة) ذكر على لسان علي رضي الله عنه: أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدافعوا أهله مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به، لأننا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم... والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى ففضلوا عن سبيل الله، ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

• إن مؤلف (الإمامة والسياسة) قدح في صحابة رسول الله ﷺ قدحاً عظيماً، فصوّر ابن عمر رضي الله عنه جباناً، وسعد بن أبي وقاص حسوداً، وذكر محمد بن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب؛ لأنه قتل مرحباً اليهودي بخير، وإن عائشة

رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان، والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وإن شاركهم الخوارج، إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة. (عقيدة الإمام ابن قتيبة للعللياني، ص 91)

• إن مؤلف (الإمامة والسياسة) يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب بن الزبير، لكونه دعا إلى آل رسول الله ﷺ، ولم يذكر خرافاته وادعائه للوحي، والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكونه انتقم من قتلة الحسين، مع العلم أن ابن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان، وبين أنه كان يدعي أن جبريل يأتيه. (المعارف، ص 401)

• إن مؤلف (الإمامة والسياسة) كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مئتي صفحة، فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق وسود الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة؛ نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

• يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الإثنا عشرية: ومن مكايدهم – يعني الرافضة –: أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعترين عند أهل السنة؛ فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم، فيعتبر بقوله ويعتد بروايته؛ كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غالٍ. وعبد الله بن قتيبة رافض غالٍ وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتاباً سماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال، وهذا مما يرجح أن كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الرافضي، وليس

لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء، والله أعلم. (مختصر التحفة الإثنا عشرية للآلوسي، ص 32)

## 2. نهج البلاغة:

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب (نهج البلاغة)؛ فهذا الكتاب مطعون في سنده ومنتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي؛ وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند، خصوصاً فيما يوافق بدعته؛ فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم - عند المحدثين - بوضع النهج؛ فهو أخوه علي، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا: (الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص 53)

- قال ابن خلكان في ترجمة الشريف الرضي: وقد اختلف الناس في كتاب (نهج البلاغة) المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟. وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم.

- وقال الذهبي: من طالع (نهج البلاغة) جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السبّ الصُّراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأنّ أكثره باطل. (ميزان الاعتدال، 124/3)

- وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم، ولا لها إسناد معروف. (منهاج السنة، 24/4)

وأما ابن حجر، فيتّهم الشريف الرضي بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي... وأكثره باطل.

واستناداً إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي رضي الله عنه. (الأدب والإسلام، نايف معروف، ص 53)

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظته القدامى والمحدثون على نهج البلاغة للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

- خلوه من الأسانيد الوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه . متناً ورواية وسنداً.
- كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين، مع أن خطب الرسول ﷺ لم تصل إلينا سالمة وكاملة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

- رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي رضي الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.

- اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عُرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ «الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما سُهر عنه من التقشّف والزهد.

- شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذي عُرف به عصر الإمام علي رضي الله عنه، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه.

- الكلام المنمّق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وُشي العصر العباسي وزخرفته، ما نجد في وصف الطاووس والخفّاش، والنحل والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.

- الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين تُرجمت الكتب اليونانية والفارسية

والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين. (الأدب الإسلامي، ص 55)

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة، وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة؛ فما وافق الكتاب والسنة، فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلا يلتفت إليه.

### 3. كتاب الأغاني للأصفهاني:

يعتبر كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ، فليس معنى ذلك أن يُسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس، والكذب الفاضح والظعن والمعائب، وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سَمَّاهُ (السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني) فقد شتم - جزاه الله خيراً - عن ساعد الجدد، ليميز الهزل من الجدد، والسّم من الشهد، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقْد، وهي تغلي في الصدور، كغلي القدور، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة، تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف، وتجرح سيرتهم، وتشوه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات؛ وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه القيم الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب، والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل. (السيف اليماني في نحر الأصفهاني للأعظمي، ص 9)

ولقد تحدث العلماء فيه قديماً فقالوا:

- قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها. (تاريخ بغداد، 398/11)

- قال ابن الجوزي:...ومثله لا يوثق بروايته، يصحح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني، رأى كل قبيح ومنكر. (المنتظم، 41/7)

قال الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين بن تيمية يضعفه، ويتهمه في نقله، ويستهلول ما يأتي به. (ميزان الاعتدال، 123/3)

**4. تاريخ يعقوبي (ت 290 هـ):**

هو أحمد بن أبي يعقوب، إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي، من أهل بغداد، مؤرخ شيعي إمامي، كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسي، وقد عرض يعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية؛ فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويسمى علي بالوصي، وعندما أرخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يُضف عليهم لقب الخلافة، وإنما قال: تولى الأمر فلان. ثم لم يترك واحداً منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة؛ فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخباراً سيئة، وكذلك عن خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعرض خبر السقيفة عرضاً مشيناً ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره.

وطريقته في سياق الاتهامات - الباطلة - هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض، وهي إما اختلاق الخبر بالكلية، أو التزيد في الخبر والإضافة عليه، أو عرضه في غير سياقه ومحله حتى يتحرف معناه، ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك، وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف

دولتهم في كتابه البلدان باسم الدولة المباركة، مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية. (منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص 431)

وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابه (التاريخ الإسلامي) وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية؛ إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية، كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي (منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص 432).

#### 5. المسعودي (ت 345 هـ): كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر):

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (الفهرست لابن النديم، ص 171).

وقيل: إنه كان رجلاً من أهل المغرب، ولكن يُرد عليه بأن المسعودي صرح بنفسه أنه من أهل العراق، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها، وإنه قصد ببلاد المغرب عكس المشرق، فمصر من بلاد المغرب الإسلامي فلا إشكال (منهج المسعودي في كتابة التاريخ، ص 44).

والمسعودي رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً، (لسان الميزان، 225/4)

وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ﷺ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في النص والاختيار، فقدم رأي الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص (مروج الذهب ومعادن الجوهر، 38/1).

وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتابه (مروج الذهب) اهتماماً كبيراً أكثر من اهتمامه بحياة الرسول ﷺ في الكتاب المذكور، وركز

اهتمامه بالبيت العلوي، وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه (مروج الذهب)،  
وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.  
هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها والتي كان لها أثر في كتابات بعض  
المعاصرين، كطه حسين (الفتنة الكبرى: علي وبنوه)، والعقاد في عبقرياته فقد تورط  
في الروايات الموضوعة والضعيفة، وقامت تحقيقاتهم عليها، وبالتالي لم يحالفهم  
الصواب، ووقعوا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك عبد  
الوهاب النجار في كتابه (الخلفاء الراشدون) حيث نقل نصوصاً من روايات الرافضة  
من كتاب (الإمامة والسياسة)، وحسن إبراهيم حسن في كتابه (عمرو بن العاص)  
حيث قرّر من خلال الروايات الرافضية الموضوعة بأن عمرو بن العاص رجل مصالح  
ومطامع ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى أن فيه مصلحة ومنفعة له في  
الدنيا، وغير ذلك من المعاصرين - كنوري المالكي - الذين ساروا على نفس  
النوال، فدخلوا في الأنفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في  
التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية (تاريخ عمرو بن العاص، حسن  
إبراهيم، ص 207).

المقال العاشر:

محاولات تشويه التاريخ الإسلامي والتصدي لها

في سياق ردِّنا على مغالطات وشبهات رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي فيما رمى به صحابة رسول الله الأَخيار (رضوان الله عليهم)، فإنني تكلمت في المقال السابق لهذا عن المؤلفات والكتب التي جمعت ونقلت الأخبار المغلوطة، والمرويات المكذوبة، والتي جعلها بعض أهل الزيغ والافتراء ذريعة للطعن بالصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان (رضوان الله عليهم). وفي هذا المقال أسلط الضوء، على بعض الفرق والتيارات الفكرية التي كان لها أثر كبير في محاولة تحريف التاريخ الإسلامي، والتي اعتمد الوزير المالكي عليها فيما حرّف به بعض أحداث التاريخ الإسلامي، ورمى به طائفةً من الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم).

### محاولات التشويه للتاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً

إن من أعظم الفرق أثراً في تشويه مراحل من التاريخ الإسلامي هم الشيعة، فهم من أقدم الفرق ظهوراً، ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي، ومنهج فكري، وهم من أشد الناس خصومة لعدد من الصحابة، فسب الصحابة وتكفيرهم من أركان معتقدتهم، ولا سيما الشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهم)، ويسمونهما الجبت والطاغوت (الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير، ص 32).

وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر شبهاتهم ومفترياتهم، وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعبوية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل؛ وهو ميزان التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصص وانتشارهم، وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة، وانحراف طائفة منهم بتبغّي العيش والكسب، فنشروا بينهم أكاذيبهم

وحكاياتهم وقصصهم الموضوعية، فتلقفها هؤلاء القصاص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامة. ولقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، مما يسيء لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم.

وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض الله مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهود في نقد الرواة والمرويات، فبينوا الزائف من الصحيح، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء، وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها، جهد كبير وموفق.

من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيوف الروايات المكذوبة هو القاضي ابن العربي في كتاب (العواصم من القواصم)، والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله، وخاصة كتابه القيم (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية)، وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب (سير أعلام النبلاء)، و(تاريخ الإسلام)، و(ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه (البداية والنهاية)، وأيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، و(لسان الميزان)، و(تهذيب التهذيب)، و(الإصابة في معرفة الصحابة).

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية، وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين؛ فهي كثيرة، ونذكر منها:

❖ الاختلاق والكذب.

❖ الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة، فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.

❖ وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده، والتأويل والتفسير

الباطل للأحداث.

❖ إبراز المثالب والأخطاء، وإخفاء الحقائق والصور المستقيمة.

❖ صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة؛ لأن الشعر العربي ينظر

له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.

❖ وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما

وضعت الرافضة كتاب (الإمامة والسياسة) الذي نحلته إلى أبي محمد عبد الله

بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به . كما مرّ معنا ..

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب وكتابه من

المستشرقين والمُنصّرِين - إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية، فوجدوا فيها

ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم - بدافع

من عصبيتهم وكرههم للمسلمين -؛ من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها،

أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه، أو التفسير الخاطيء تبعاً

للتصور والاعتقاد الذي يدينون به (منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل،

ص 502).

ثم شايح هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية

والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث، وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم

والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين، وكان ضررهم

أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين، ومن ضرر أسلافهم السابقين من أهل

البدع والأكاذيب، وذلك أنهم ادّعوا - كأساتذتهم - اتباع الروح العلمية المتجردة

والمنهج العلمي في البحث، والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته، أما التجرد

بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الوقائع التاريخية،

كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها، ومدى أمانة

الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري

وطبائعه؛ فلا أثر له عند القوم، فلم يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية؛ مثل الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها، وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم! (منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص 502).

يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنّا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأعيان بمظهر المتجرد عن كل آصرة بماضي العروبة والإسلام، جرياً وراء المستشرقين في ارتياحهم حيث تحسن الطمأنينة، وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشباه الدلائل عليه. (المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة الأزهر، 1374 هـ).

**إن من أهم الوسائل التي إتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي:**

التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذي يعيشون هم فيه، وحسبما يجول بخواطيرهم، دون أن يحققوا أولاً الواقعة التاريخية حتى تثبت، ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة، وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسير الحادثة لا بد من ثبوت وقوعها، وليس وجودها في كتاب من الكتب كافياً لثبوتها؛ لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث في تفسير الواقعة التاريخية، كما ينبغي أن يكون التفسير متمشياً مع منطوق الخبر التاريخي، وموضوع البحث، ومع الطابع العام للمجتمع أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة، كما يشترط أن لا يكون هذا التفسير متعارضاً مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد - كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة، وإنما

ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحدث وخاصة العوامل العقيدية والفكرية.. ثم إن التفسير التاريخي للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كونه اجتهاداً بشرياً يحتمل الصواب والخطأ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة، وعمد إلى تضخيم أدوارها، وتصويرها بصورة المصلح المظلوم، وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها؛ فالقرامطة، والإسماعيلية، والشيعية الإمامية، والفاطمية، والزنج، وإخوان الصفا، والخوارج؛ كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة، وثورتهم كانت ثورات للإصلاح وإنكار الظلم والجور (منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص 504).

فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي، ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام؛ فهم من واقع عقيدتهم يكيّدون له بكل جهد مستطاع، ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، ولا يتوقع من مطموس الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في التضليل والافتراء.

ولكن الأمر الذين قد يحدث استغراباً عند البعض: أن يحمل راية التشويه والتحريف كتاب يحملون أسماء إسلامية، ومن أبناء المسلمين، ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بني جلدتهم؛ ليصرفوا بها الشباب الناشئ عن الصراط المستقيم، ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة، يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة؛ فهذه الكتب هي مستنداّتهم في الغالب، مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة في يعقوبي والطبري والمسعودي؛ مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها.

فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي، ومحو معالمه النيرة، وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة، والتربية الصحيحة، ولهذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبيه لها، ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم ومناهجهم،

وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد.

فإذا كان علماءنا (رحمهم الله) قد نقدوا كثيراً من الرواة وضَعَّفوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب، وروايتهم الإسرائيليات؛ فإنه ينبغي لنا التوقف عن قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين، بل إسقاطها، وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح (منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص 507).

وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي - خاصة تاريخ الصدر الأول

- بالتشويه، عن طريق اختيار مواقف مختارة، والتركيز عليها؛ كالمعارك والحروب، مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله، أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية، بقصد إظهار خلافات الصحابة رضي الله عنهم، وعرضها، وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر.
- بالتجهيل، وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة.
- بالتشكيك، وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم، والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم.
- بالتجزئة، وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات، وكأنها لا رابط بينها كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه.

## الخاتمة:

إن الناظر في كلام رئيس وزراء العراق الأسبق نوري المالكي - هدانا الله وإياه - حول الصحابة الكرام (رضي الله عنهم)، واستحضاره لبعض الأحداث التاريخية حول معركة صفين وقضية التحكيم ورفع المصاحف والخطبة النبوية في غدير خم وتجنیه علی الصحابة وخاصة معاوية بن أبي سفيان وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص (رضوان الله عليهم جميعاً) واتهامه أهل الشام بالخيانة وأهل العراق بالخذلان، يجده ارتضى أن ينتهج طريق الانتقاء، والتشكيك، والتجهيل، والتجزئة. والقارئ للمقالات العشرة التي علّقنا فيها على أقواله، ورددنا فيها على كلامه بالحجة والمنطق والبرهان، يتضح له ما أشرنا إليها وقصدناه.

وإن الغاية (والله أعلم) من نشر هذه السلسلة بعد رضا الله تعالى وطاعته، هو تبيان فضل ومكانة صحابة الرسول الكريم ﷺ، لأنهم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين علماء وعملاً وتصديقاً وصُحبة لرسول الله ﷺ، وجهاداً في سبيل الله، والدعوة لكلمة الحق وتبليغ الرسالة، فهم بلّغوا الغاية في الفضل والعلم، وطاعة الله، واتباع رسوله ﷺ، كما ذكرنا سابقاً، وقد اصطفاهم الله لتلقي التنزيل، والعمل بالدين القويم، فأثنى عليهم ذاكراً عمق إيمانهم به، وسلامة منهجهم، وسداد رأيهم، وصلاح عملهم، وأخبر جل جلاله برضاه عنهم، ووعدهم بجنات النعيم، واجتمع لدى الصحابة الكرام تزكية الله تعالى ومحبة نبيه الكريم ﷺ (انظر: الصحابة مكانتهم وفضلهم، إسلام ويب، 18 نوفمبر 2018م).

الصحابة الكرام هم قادة موكب التاريخ الإنساني والحضاري، وحملة رسالة الإيمان بالله عز وجل، بعد وفاة النبي المصطفى ﷺ، فدخلوا التاريخ من أوسع أبوابه، وخلد القرآن الكريم ذكراهم، ونالوا بمنزلتهم الرفيعة ذرى المجد والصدارة، والسبق للعلا بكل أسبابه، واستحقوا استمرار ذكرهم، والافتداء بسيرهم وفضائلهم إلى يوم يرث الله

الأرض ومن عليها، واستحقوا ذلك استحقاقاً تاماً لا شك فيه.

وقد قال الله تعالى في ثنائه وتزكيتهم لهم في كتابه العزيز:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

وقال سبحانه:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 18-19]

وقد توعدهم الله الذين يؤذون المؤمنين بالقول والفعل في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 58]

ويا إخوتي وأخواتي: إن منهج المسلم الحق في التعامل مع سير الصحابة (رضي الله عنهم) يكون في محبتهم بالقلب، والثناء عليهم باللسان، والاعتقاد بأنهم خلفاء النبي ﷺ بعد موته في الأمة، سواء في العلم والعمل والدعوة، والأمر والنهي، والجهاد والأخلاق. وإن اقتفاء أثرهم، والتلقي عنهم والتأسي بهم، والترحم عليهم، والاستغفار والدعاء لهم، يكون طلباً لمرضاة الله، وشفاعة النبي ﷺ، وتحقيقاً لقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

اللهم ردنا إليك رداً جميلاً، وارحمنا برحمتك،  
واجعلنا ممن رضيت عنهم، وأحببت لقاءهم  
اللهم ارزقنا صحبة النبي المصطفى ﷺ وآل بيته الكرام وصحابة الغر الميامين  
(رضوان الله عنهم جميعاً) في جنان النعيم  
يا أكرم الأكرمين  
يا أرحم الراحمين.... اللهم آمين

وآخر دعوانا

الحمد لله رب العالمين

## المصادر والمراجع:

- أبو موسى الأشعري الصحابي العلم المجاهد، محمد طهماز.
- أثر التشيع على الروايات التاريخية.
- أحداث وأحاديث فتنة الهرج، عبد العزيز صغير دخان.
- الأحكام السلطانية للماوردي؛ الأحكام السلطانية لأبي يعلى
- الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري.
- الأدب الإسلامي، نايف معروف.
- أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط 2 1430 هـ / 2009م.
- إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية.
- إعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، عمر بن حسن بن دحية الكلبي.
- الأم، الإمام الشافعي.
- الإمامة والسياسة.
- أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهاز.
- أنساب الأشراف، البلاذري.
- الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف.
- البداية والنهاية، ابن كثير دمشقي.
- البيان والتبيين، للجاحظ.
- تاريخ الرسل والملوك، للطبري.
- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري.
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري.

- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر.
- تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم.
- تحقيق مواقف الصحابة.
- تفسير التابعين، محمد بن عبد الله الخضير.
- التفسير المنير، وهبة الزحيلي.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني.
- خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد بن علي فقيهي.
- دراسات في عهد النبوة، عبد الرحمن شجاع عبد الواحد.
- دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، محمد ضيف الله.
- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، شاهين حمدي.
- الدولة الأموية المفترى عليها، حمدي شاهين.
- الدولة الأموية، د. علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط 1 2005م.
- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي.
- السيف اليماني في نحر الأصفهاني، للأعظمي.
- الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير.
- الصحابة مكانتهم وفضلهم، إسلام ويب، 18 نوفمبر 2018م.
- الصواعق المرسلة بدون سند، تحقيق: محمد دخيل الله.
- الضعفاء والمتروكون، ابن حبان البستي.
- الطبقات، ابن سعد.
- العالم الإسلامي في العصر الأموي، عبد الشافي محمد عبد اللطيف.
- عقيدة الإمام ابن قتيبة، علي العلياني.

- العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني.
- الفصل في الملل والنحل، ابن حزم الأندلسي.
- الفهرست، ابن النديم.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني.
- لسان الميزان، الذهبي.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية.
- مختصر التحفة الإثنا عشرية، الألوسي.
- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، يحيى اليحيى.
- المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة الأزهر.
- معاوية بن أبي سفيان؛ شخصيته وعصره، د. علي محمد الصلابي، دمشق، دار ابن كثير، ط2 1430هـ / 2009م.
- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للحريري، محمد رمضان عبد الله.
- منهج المسعودي في كتابة التاريخ.
- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل.
- ميزان الاعتدال، الذهبي.
- الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله.
- وقعة صفين، المتغري.

## الفهرس

الإهداء .....	3
مقدمة .....	4
المقال الأول: مُغالطات نوري المالكي في اتهام معاوية بن أبي سفيان والأمويين بسبّ وشتم آل البيت على المنابر في عهدهم .....	7
المقال الثاني: مغالطات المالكي حول حادثة الدعوة إلى التحكيم في معركة صفّين .....	16
المقال الثالث: نص التحكيم في معركة صفين .....	29
المقال الرابع: قصة التحكيم المشهورة، وبطلانها من وجوه .....	34
المقال الخامس: حقيقة الخطبة النبوية في غدِير خم .....	46
المقال السادس: سيرة أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) في ميزان العدل والإنصاف ...	61
المقال السابع: سيرة عمرو بن العاص (رضي الله عنه) في ميزان العدل والإنصاف .....	73
المقال الثامن: خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب وحرصه على حقن دماء المسلمين ووحدة الأمة .....	85
المقال التاسع: كتب تاريخية ساهمت بتشويه تاريخ الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم). ..	102
المقال العاشر: محاولات تشويه التاريخ الإسلامي والتصدي لها .....	113
الخاتمة: .....	120
المصادر والمراجع: .....	123
الفهرس .....	126